وثائق المعاهدة البحرية

مغامرات شيرلوك هولمز

وثائق المُعاهدة البحرية

تأليف

آرثر كونان دويل

ترجمة

محمد يحيى عبدالكريم

أرثر كونان دويل

ولد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إمكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩م، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً وكان من مدرسيه في الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف في، وهو الذي أوحى إليه شخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢م حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إد نبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتسماوث، ولكن عدد المرضي كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت

روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا ولد شيرلوك هولمز في رواية (دراسة قرمزية) التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧م.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بوء، لكن دويل حل المشكلة سريعاً إذ قال: (سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إد نبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية

عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بد أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل)- وقد عثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

وفي عام ١٩٠٠م تطوع الدكتور دويل في حرب البوير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب منح وسام الفروسية ولقب (سير) تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنجلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠م بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذي درسه في كلية الطب. كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: (أنت ضابط سرح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل). وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة

يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

(ولد) شيرلوك هولمز في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤م وحصل على شهادة جامعية لم يحدد دويل، ثم احترف مهنة (محقق خاص) منذ نحو سنة ١٨٧٨م، وكان يقيم في شارع في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو (٢٢١ ب). وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو راوية القصص الذي يقصها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب ولد نحو سنة ١٨٥٢م وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨م،

ثم انضم إلى الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١م، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦م، لكن دويل لم يشأ أن يعرفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة (المشكلة الأخيرة) التي نشرت في نهاية عام ١٨٩٣م (قتل) دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣م ليستأنف حل القضايا الغامضة.

قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرهال دويل كانت في عام ١٨٧٩م، وهي قصة قصيرة عنوانها (إفادة السيد جفسون)، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت (دراسة قرمزية)، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧م فلم يكد يحس بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية (علامة الأربعة) التي نشرت عام ١٨٩٠م فوطدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١م) بدأ نشر مجموعة (مغامرات شيرلوك هولمز) في حلقات شهرية في مجلة (ستراند)، بدءاً بقصة (فضيحة في بوهيميا) التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشغل الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة نشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢م. ثم ظهرت سلسلة (ذكريات شيرلوك هولمز) التي نشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢م، ويبدو أن دويل بدأ يمل عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك (قتله) في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشري عند شلالات رايشنباخ في سويسرا! وقد نشرت هذه القصة (وعنوانها (المشكلة الأخيرة). في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣م.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على (بعث) شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة (مغامرة المنزل الخالي) التي نشرت في مجلة (ستراند) في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣م.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبين أنه لم يقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شق طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت

لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة (ستراند) في بريطانيا ومجلة (كوليرز) في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة (عودة شيرلوك هولمز) (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة (كلب عائلة باسكرفيل)، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١م إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة (الظهور الأخير) التي تضم سبع قصص نشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨م وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م، ثم الرواية الطويلة الرابعة (وادي الرعب) (٩/ ١٩١٤م-٥/ ١٩١٥م)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقاد. وأخيراً سلسلة (قضايا شيرلوك هولمز) (١٠/ ١٩٢١م-٤/ ١٩٢٧م) التي نشرت آخر حلقاتها بعد أربعين

سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومانسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي (العالم المفقود)، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سماه (ذكريات ومغامرات).

وثائق المعاهدة البحرية

خلال سنوات دراستي المدرسية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بفتى اسمه بيرسي فيلبس، وكان في مثل عمري بالرغم من أنه كان يسبقني بعامين دراسيين، إذا كان ولداً عبقرياً حتى إنه حصل على كل الجوائز التي تقدمها المدرسة، ثم أنهى مآثره بحصوله على منحة دراسية أرسلته إلى جامعة كامبردج لإكمال مسيرته الناجحة.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان عدد من أقاربه من ذوي النفوذ، حتى عندما كنا أولاداً صغاراً عرفنا أن خاله هو اللورد هولد هورست السياسي المحافظ العظيم، ولكن هذه العلاقة المبهرة لم تفده في المدرسة إلا قليلاً، بل على العكس، فقد كنا نستمتع بمطاردته حول الملعب ونحن نضربه بعصى الكريكيت!

لكن الأمر تغير حين خرج إلى الحياة العملية فقد سمعت أن قدراته وعلاقاته قد مكنته من الالتحاق بمركز جيد في وزارة الخارجية، وبعد ذلك نسيته تماماً حتى وصلني الخطاب التالي ليذكرني بوجوده:

منزل بريار بري، ووكنغ.

عزيزي واطسون،

لست أشك أدنى شك في أنك ستتذكر الضفدع الصغير فيلبس، ذلك الذي كان في الصف الخامس عندما كنت أنت في الصف الثالث، ومن الممكن أن تكون قد سمعت أنني قد حصلت على مركز جيد في وزارة الخارجية بفضل نفوذ خالي، وأنني كنت محل ثقة واحترام حتى دمر سوء حظ رهيب مسيرتي العملية فجأة!

لا فائدة من كتابة تفصيلات هذا الحادث الفظيع، حيث إنني من المحتمل أن اضطر إلى سرد الأحداث عليك إذا استجبت إلى طلبي.

لقد تعافيت لتوي من حمى في الدماغ استمرت لمدة تسعة أسابيع، وما زلت ضعيفاً لدرجة كبيرة، فهل تظن أن باستطاعتك إحضار السيد شيرلوك هولمز إلى هنا ليراني؟

فأنا أحب أن أعرف رأيه بهذه القضية، بالرغم من تأكيد السلطات لي بأنه لا جديد يمكن عمله، فأرجو منك أن تحاول إحضاره بأقرب وقت ممكن، فكل دقيقة تمر عليَّ وأنا في هذه الحالة من الترقب الفظيع تبدو كساعة طويلة. وأرجو أن تؤكد له أنني إن لم أكن قد سعيت لطلب نصيحته قبل الآن فقد كان ذلك لأنني كنت في غيبوبة منذ وقوع النكبة وليس لأنني لا أقدر مواهبه، أما الآن فقد بدأت أستعيد رشدي ثانية، ولكنني لا أجرؤ على التفكير في الأمر كثيراً خوفاً من حدوث انتكاسة.

أنا ما زلت ضعيفاً حتى إنني أكتب إليك عن طريق الإملاء كما ترى. أرجو أن تحاول إحضاره.

زميلك القديم في المدرسة: بيرسي فيلبس.

مس هذا الخطاب مشاعري وأنا أقرأه، إذ كان في رجائه المتكرر بإحضار هولمز شيء مثير للشفقة، وقد بلغ من تأثري أنني فكرت بتنفيذ هذا الطلب رغم صعوبته.

كنت أعلم بالطبع أن هولمز يحب فنه العقلي، ولذلك فهو مستعد دائماً لتقديم المساعدة بنفس درجة استعداد عملائه لتلقيها، وقد وافقتني زوجتي على أن لا أضيع دقيقة أخرى قبل عرض الأمر عليه، وهكذا وجدت نفسي متجهاً إلى المسكن القديم في شارع بيكر مرة أخرى بعد الإفطار بساعة.

كان هولمز جالساً إلى طاولته مرتدياً رداءه المنزلي وهو يعمل بجد في تجربة كيميائية، وقد راح إناء كبير ذو أنبوب تقطير يغلي بشدة على الشعلة الزرقاء لموقد البنزين، والقطرات المرشحة تتكثف في قدر سعته لتران. بالكاد رفع صديقي رأسه عندما دخلت، وعندها أدركت مدى أهمية تجربته، فجلست في مقعد مريح ذي ذراعين وانتظرت فيما كان هولمز يأخذ بضع قطرات من هذا الإناء أو ذاك بماصته الزجاجية...

وأخيراً قرب إلى الطاولة أنبوب اختبار يحتوي على محلول، وكان ممسكاً بورقة عباد الشمس في يده اليمنى وقال:

لقد أتيت في الوقت الحاسم يا واطسون، فلو ظلت هذه الورقة على لونها الأزرق فكل شيء على ما يرام، أما إذا تغير لونها إلى الأحمر فسيكون معنى ذلك إنقاذ حياة رجل.

غمس هولمز الورقة في أنبوب الاختبار فتوهجت على الفور بلون قرمزي باهت، فصاح: آه، هذا ما ظننته. سأكون في خدمتك خلال لحظة يا واطسون.

اتجه إلى مكتبه وكتب بسرعة عدة برقيات ثم سلمها إلى البواب لإرسالها، وبعد ذلك ألقى بنفسه على الكرسي المقابل لي ورفع ركبتيه حتى تشابكت أصابعه حول ساقيه الطويلتين الرفيعتين ثم قال: إنها جريمة قتل بسيطة مبتذلة.

أظن أن عندك ما هو أفضل، فغالباً ما ينبئ قدومك بوجود جريمة. ما الأمر يا واطسون؟

أعطيته الخطاب فقرأه بانتباه شديد، ثم علق قائلاً وهو يعيده إليَّ: إنه لا يخبرنا بالكثير، أليس كذلك؟

- لا شيء تقريباً.

- وبالرغم من ذلك فالخط مثير للاهتمام.

- ولكنه ليس خطه.

- تماماً، إنه خط امرأة.

صحت قائلاً: الخط لرجل بالتأكيد.

- لا، بل خط امرأة، وهي امرأة ذات شخصية نادرة. يجب أن تفهم أنه من الجيد في بداية كل تحقيق أن تعرف إذا ما كان عميلك على صلة وثيقة بشخص له طبيعة استثنائية، سواء أكان ذلك للخير أم للشر. لقد آثرت اهتمامي بالقضية؛ لنذهب حالاً إلى ووكنغ لو كنت مستعداً- لنرى الدبلوماسي الذي تورط في هذه القضية الشريرة، ونرى السيدة التي يملي عليها خطاباته.

حالفنا الحظ بما فيه الكفاية لنلحق بقطار مبكر من محطة واترلو، وفي أقل من ساعة وجدنا أنفسنا وسط غابات الصنوبر ومروج ووكنغ، وكان (بريار بري) منزلاً واسعاً منفصلاً يقع في أراض ممتدة على بعد دقائق نمشيها من المحطة.

وبعد أن قدمنا للبواب بطاقات التعريف أدخلنا إلى قاعة استقبال

مجهزة بأناقة، وخلال دقائق قليلة دخل علينا رجل يميل إلى البدانة وقام باستقبالنا بحفاوة كبيرة. كان عمره أقرب إلى الأربعين منه إلى الثلاثين، وكان ذا وجنتين متوردتين وعينين مبتهجتين، حتى ليكاد يعطي انطباعاً بأنه ولد مفعم بالحيوية والنشاط!

قال الرجل وهو يصافحنا بانفعال مبالغ فيه: أنا سعيد جداً بقدومكما، فقد كان بيرسى يسأل عنكما طوال فترة الصباح. يا للفتى المسكين! إنه يتعلق بأية قشة، وقد طلب منى والداه أن أنوب عنهما في استقبالكما لأن أقل ذكر في الموضوع يؤلمهما أشد الألم.

علق هولمز قائلاً: لم نعرف التفصيلات بعد، ولكنني ألاحظ أنك لست فرداً من أفراد العائلة.

بدت الدهشة على وجه مرافقنا، ثم ألقى بنظرة خاطفة نحو الأسفل وبدأ بالضحك وهو يقول:

لقد ظننت لوهلة أنك قمت بشيء بارع! بالطبع لقد رأيت الحرفين الأزلين من اسمي (ج ه) محفورين في قلادتين. اسمي هو جوزيف هاريسون، ولأن بيرسي على وشك الزواج بأختي آني فيمكن اعتباري قريبه عن طريق النسب.

ستجد أختي في غرفته حيث قامت بتمريضه بتفان كبير طوال

الشهرين الماضيين، فلنذهب إليه في الحال لأنني أعرف مبلغ القلق الذي يشعر به.

كانت الغرفة التي قادنا إليها في نفس الطابق الذي توجد فيه قاعة الاستقبال، وقد دل أثاثها على أنها تستعمل غرفة للجلوس في جزء منها وغرفة للنوم في الجزء الآخر، وقد انتشرت الزهور المنسقة في كل زاوية فيها، في حين استلقى شاب منهك شاحب الوجه على الأريكة بجوار النافذة المفتوحة التي انسابت منها روائح الحديقة الغنية ونسمات الصيف المنعشة.

وقفت المرأة الجالسة بجواره عندما دخلنا إلى الغرفة وسألته قائلة: هل تريدني أن أغادر الغرفة يا بيرسي؟

أمسك بيدها بشدة ليمنعها من الذهاب وقال بحرارة: كيف حالك يا واطسون؟

لم أكن سأعرفك أبداً بهذا الشارب. هذا هو صديقك المشهور السيد شيرلوك هولمز على ما أظن؟

قدمت هولمز بكلمات قليلة ثم جلسنا، وتركنا الشاب البدين لكن

شقيقته بقيت في الغرفة ممسكة بيد المريض. كانت امرأة شديدة الجمال وإن كانت قصيرة وممتلئة قليلاً، ولكنها تتمتع ببشرة نضرة وشعر كثيف شديد السواد وعينين واسعتين داكنتين كعيون أهل إيطاليا، وقد أظهر الفرق الكبير بين نضارتها وشحوب وجه رفيقها مدى إرهاقه وهزاله.

قال وهو يرفع نفسه على الأريكة:

لن أضيع وقتكما؛ سأدخل في الموضوع دون المزيد من المقدمات. لقد كنت رجلاً سعيداً وناجحاً يا سيد هولمز وعلى وشك الزواج حين دمرت هذه المحنة المفاجئة كل آمالي في الحياة؛ فقد كنت أعمل في وزارة الخارجية، ربما أخبرك واطسون بذلك.

ومن خلال نفوذ خالي اللورد هولد هورست ارتقيت بسرعة، وعندما صار خالي وزيراً للخارجية كلفني بعدد من المهمات التي تحتاج إلى قدر كبير من الثقة، ولأنني كنت أنجز هذه المهمات بنجاح دائماً فقد اقتنع خالي. أخيراً بأن يضع ثقته القصوى في قدراتي وأساليبي.

ومنذ عشرة أسابيع تقريباً وفي الثالث والعشرين من أيار (مايو) على وجه الدقة استدعاني خالي إلى مكتبه الخاص، وبعدما امتدح العمل الجيد الذي قمت به أخبرني أن عليَّ تنفيذ مهمة جديدة. قال وهو يأخذ بيده لفة من الورق الرمادي عن مكتبه:

(هذا هو أصل المعاهدة السرية بين إنجلترا وإيطاليا، ويؤسفني القول بأن بعض الشائعات قد تسربت إلى الصحافة بالفعل، ومن المهم جداً أن لا يتسرب شيء آخر عنها، فالسفارتان الفرنسية والروسية مستعدتان لدفع مبالغ ضخمة لمعرفة محتوى هذه الأوراق، ولم تكن هذه الأوراق لتغادر مكتبي لولا أن نسخها ضروري جداً.

هل تملك أدراجاً في مكتبك؟).

قلت:

(نعم يا سيدي).

قال:

(فلتأخذ هذه المعاهدة إذن وتغلق عليها هناك، وسأعطي الأوامر لتبقى بعد مغادرة الآخرين حتى تستطيع نسخها على راحتك دون الخوف من أن يراها أحد، وعندما تنتهي أعد إغلاق درج مكتبك على النسختين الأصلية والمنسوخة، ثم سلمهما إليَّ شخصياً غداً صباحاً). وهكذا أخذت الأوراق، ثم....

قال هولمز مقاطعاً:

أعذرني للحظة، هل كنتما بمفردكما طوال هذه المحادثة؟

- تماماً.

- في غرفة واسعة؟

- تكاد تبلغ عشرة أمتار طولاً ومثلها عرضاً.

- وهل كنتما تتكلمان بصوت منخفض؟

- صوت خالي منخفض دائماً بشكل ملحوظ، وأنا لم أتكلم تقريباً.

قال هولمز وهو يغمض عينيه:

شكراً لك، أرجو أن تكمل.

استطرد قائلاً:

فعلت ما أشار خالي به تماماً وانتظرت حتى غادر باقي الموظفين. وكان أحد زملائي في المكتب، وهو تشارلز غورو، كان عنده بعض الأعمال المتأخرة فتركته هناك وخرجت لتناول الغداء، وعند عودتي كان قد ذهب، وقد كنت متلهفاً لإنهاء عملي لأنني كنت أعرف أن جوزيف (وهو السيد هاريسون الذي رأيتموه منذ لحظات) كان في المدينة، وعلمت أنه سيسافر إلى ووكنغ في قطار الحادية عشرة فأردت اللحاق به إذا استطعت.

عندما درست المعاهدة تبين لي على الفور أنها في غاية الأهمية وأن خالي لم يبالغ فيما قاله، ودون الخوض في التفصيلات يمكنني القول بأن المعاهدة تحدد موقف بريطانيا العظمى تجاه التحالف الثلاثي وتتنبأ بالسياسة التي ستتبعها هذه الدولة في حالة قيام الأسطول الفرنسي بالسيطرة الكاملة على ممتلكات بريطانيا في البحر المتوسط، أما الأسئلة التي تمت مناقشتها من خلال المعاهدة فهي شؤون بحرية خالصة، وفي نهايتها توقيعات المسؤولين الذين وقعوها. وقد قمت بقراءتها بسرعة ثم جلست لأبدأ مهمتي في النسخ.

كانت وثيقة طويلة مكتوبة باللغة الفرنسية وتحتوي على ستة وعشرين فصلاً، وقد قمت بالنسخ بأسرع ما أستطيع، ولكنني لم أكن قد انتهيت إلا من تسعة فصول حتى الساعة التاسعة، فبدا أن من المستحيل أن أحاول اللحاق بقطاري.

وكنت أشعر بالنعاس والبلادة جزئياً بسبب عشائي وأيضاً بسبب يوم العمل الطويل ورأيت أن كوباً من القهوة يمكن أن ينبه حواسي، وبما أن في غرفة صغيرة أسفل الدَرَج بواباً يبقى طول الليل ومن عادته إعداد القهوة على موقده الصغير لأي موظف يعمل خارج الدوام فقد

قمت بقرع الجرس لاستدعائه. لدهشتي استجابت لطلبي امرأة مسنة ضخمة الوجه ترتدي مئزراً، وقد وضحت لي أنها زوجة الحاجب وأنها تقوم بالخدمة النهارية، فطلبت منها القهوة.

كتبت فصلين آخرين، وبعدئذ شعرت بنعاس لم أشعر بمثله من قبل!

فوقفت وتمشيت في الغرفة جيئة وذهاباً لأحرك ساقي.

لم تكن قهوتي قد وصلت بعد، وتساءلت عن سبب هذا التأخير ففتحت الباب ثم مشيت إلى آخر الممر لأستكشف الأمر، وقد كان ممراً مستقيماً إضاءته خافتة، وهو الطريق الوحيد للخروج من الغرفة التي أعمل فيها، وينتهي هذا الممر عند درجات دائرية تقع غرفة البواب في نهايتها، وفي منتصف الدرجات توجد فسحة صغيرة يتصل بها ممر آخر بزاوية قائمة، وهذا الممر الثاني يقود عن طريق دَرَج آخر صغير إلى باب جانبي للخدم، كما أنه يستخدم أيضاً كطريق مختصر للموظفين عندما يحضرون من شارع تشارلز. ها هو رسم توضيحي للمكان.

قال شيرلوك هولمز:

شكراً لك، أعتقد أنني قد تتبعت وصفك تماماً.

فاستطرد الشاب قائلاً:

من المهم جداً أن تلاحظ هذه النقطة، فقد نزلت الدرجات ودخلت إلى الصالة حيث وجدت البواب غارقاً في النوم في غرفته والإبريق يغلي بشدة على الموقد، فأنزلت الإبريق وأطفأت الموقد لأن الماء كان يتدفق على الأرض، وقبل أن أمد يدي لأهز الرجل الذي كان ما يزال نائماً بعمق أيقظه رنين الجرس الذي رن فوق رأسه بصوت عال، فاستيقظ فزعاً وقال وهو ينظر إليَّ بدهشة:

سيد فيلبس، سيدي!

– لقد جئت لأرى إن كانت قهوتي جاهزة.

– لقد كنت أغلى الماء عندما غرقت في النوم يا سيدي.

كان ينظر إليَّ ثم إلى أعلى حيث يوجد الجرس والدهشة المتزايدة مرتسمة على وجهه، ثم سألني:

إذا كنت هنا يا سيدي فمن يدق الجرس إذن؟

صحت قائلاً:

الجرس؟ ما هذا الجرس؟!

– جرس الغرفة التي كنت تعمل بها.

أحسست بيد باردة تقبض على قلبي، ففي تلك الغرفة شخص ما حيث توجد المعاهدة الثمينة على الطاولة، فجريت بجنون صاعداً الدرجات ثم مشيت عبر الممر حيث لم يكن أحد يا سيد هولمز، لا على الدَرَج ولا في الغرفة أيضاً... كان كل شيء كما تركته ما عدا تلك الأوراق التي عهد إليَّ بها؛ لقد اختفت من فوق مكتبي حيث كانت. كانت النسخة هناك، أما الأصل فقد اختفى!

جلس هولمز في كرسيه وفرك يديه، واستطعت أن أرى أن المشكلة كانت تستهويه تماماً، قال متمتماً:

وماذا فعلت حينذاك؟

– أدركت على الفور أن السارق قد صعد من الدرجات المؤدية إلى الباب الجانبي، فلو أنه جاء من الطريق الآخر لكنت قابلته بالتأكيد.

– هل كنت متأكداً من عدم اختبائه في الغرفة طوال ذلك الوقت أو في الممر الذي وصفته لتوك بأنه خافت الإضاءة؟

– هذا غير ممكن إطلاقاً، فحتى الفأر الصغير لا يستطيع الاختفاء

في هذه الغرفة أو في الممر، فلا يوجد هناك أي مكان للاختباء.

- شكراً لك، أكمل أرجوك.

- أدرك البواب من شحوب وجهي أن أمراً خطيراً قد وقع، فتبعني إلى الدور العلوي، وأسرعنا عبر الممر ثم نزلنا الدرجات المنحدرة المؤدية إلى شارع تشارلز، وكان الباب في نهاية الدَرَج مغلقاً ولكنه غير مقفل بالمفتاح، ففتحناه واندفعنا إلى الخارج، وأستطيع أن أتذكر بوضوح أننا حين فعلنا ذلك سمعنا ثلاث دقات من ساعة مجاورة، فقد كانت الساعة العاشرة إلا الربع.

قال هولمز وهو يكتب ملحوظة مقتضبة:

إن لذلك أهمية كبيرة.

أكمل الشاب:

كانت الليلة حالكة الظلام وكان المطر يتساقط خفيفاً دافئاً ولم يكن في شارع تشارلز أحد، ولكن المرور كان كثيفاً كعادته في وايت هول في وقت الذروة، وقد أسرعنا نمشي على رصيف الشارع دون مظلات واقية من المطر فوجدنا شرطياً واقفاً في الزاوية البعيدة من الشارع

فقلت لاهثاً:

لقد حدثت سرقة، لقد سرقت وثيقة عالية القيمة من وزارة الخارجية، هل مر أحد من هذا الطريق؟

قال:

أنا أقف هنا منذ ربع ساعة يا سيدي، ولم يمر بي سوى شخص واحد خلال هذا الوقت، امرأة طويلة كبيرة في السن ترتدي وشاحاً من الكشمير.

صاح البواب:

آه، إنها زوجتي. ألم يمر أحد آخر؟

- لا أحد.

صاح الرجل وهو يشد كمي:

لابد أن السارق قد ذهب من الناحية الأخرى إذن.

ولكنني لم أقتنع، وزادت محاولاته لإبعادي من شكوكي فصحت:

من أي طريق ذهبت المرأة؟

- لا أعرف يا سيدي، لقد لاحظت مرورها ولكن لم يكن عندي

سبب مهم لأراقبها، وكان يبدو أنها على عجلة.

– كم مضى من الوقت على ذلك؟

– دقائق قليلة.

– أكان ذلك خلال الدقائق الخمس الماضية؟

– حسناً، لا يمكن أن تكون أكثر من خمس دقائق.

صاح البواب:

أنت تضيع وقتك يا سيدي، فكل دقيقة الآن لها أهميتها. ثق بكلامي، فالمرأة لا علاقة لها بالأمر، وتعال إلى الناحية الأخرى من الشارع حسناً، إذا لم تأت فسأذهب أنا.

وبعد هذا الكلام انطلق إلى الناحية الأخرى من الشارع، ولكنني لحقت به بعدها بلحظة وأمسكت بكمه ثم قلت:

أين تعيش؟

أجابني قائلاً:

١٦ شارع آيفي، بريكستون، ولكن لا تتبع الأثر الخاطئ يا سيد فيلبس. تعال إلى نهاية الشارع لنرى ما إذا كان بإمكاننا سماع أي شيء.

لم أكن لأخسر شيئاً إذا تبعت نصيحته، ولذلك أسرعت مع

الشرطي إلى هناك لنجد الشارع مزدحماً بالمرور وكثيراً من الناس غادين رائحين وكلهم متلهف للوصول إلى مكان آمن في هذه الليلة الممطرة، ولم نجد أي متسكع ليخبرنا عمن مر من هناك.

وعندئذ عدنا إلى المكتب وفتشنا الدرجات والممر دون أية نتيجة، أما الممر المؤدي إلى الغرفة فقد كان مغطى بمشمع أرضيات أبيض اللون وهو يظهر الأثر بمنتهى السهولة، وقد فحصناه بدقة شديدة ولم نجد أية آثار لأقدام.

سأل هولمز:

هل كانت تمطر طوال المساء؟

- منذ الساعة السابعة.

- كيف لم تترك المرأة التي دخلت الغرفة أية آثار لحذائها المتسخ بالطين إذن؟

- يسعدني أنك أثرت هذه النقطة؛ فقد خطرت على بالي في ذلك الوقت، ولكن الخادمات يخلعن أحذيتهن في غرفة البواب ويرتدين خفاً ملائماً.

– هذا واضح، لم تكن هناك أية آثار إذن بالرغم من أن الليلة كانت ممطرة. سلسلة الأحداث مثيرة للاهتمام بالتأكيد. وماذا فعلت بعد ذلك؟

– فحصنا الغرفة أيضاً. لم يكن فيها أي احتمال لوجود باب سري، وفيها نافذتان ترتفعان عن أرض الشارع عشرة أمتار وكلاهما مغلقتان من الداخل بإحكام، كما يمنع السجاد أية احتمالات لوجود فتحة خفية في أرض الغرفة، أما السقف فهو من النوع الأبيض العادي، ولذلك فأنا أراهن بحياتي أن من سرق الأوراق لم يكن ليستطيع الدخول إلا من الباب.

– وماذا عن المدفأة؟

– لا توجد مدفأة في الجدار بل موقد تدفئة عادي. إن حبل الجرس معلق إلى يمين مكتبي مباشرة، ومن قرع الجرس لابد أنه وقف بالقرب من المكتب ليفعل ذلك.

ولكن لماذا يقرع أي لص الجرس؟ إنه لغز غير قابل للحل.

– هذه حادثة غير عادية بكل تأكيد. ماذا كانت خطوتك التالية؟ تفحصت الغرفة. على ما أعتقد– لترى إن كان الدخيل قد ترك أية آثار فيها مثل أعقاب اللفائف أو قفاز مرمي أو ما شابه ذلك؟

– لم يكن هناك شيء من هذا النوع.

- ولا رائحة؟

- حسناً، لم نفكر في ذلك.

- كانت رائحة التبغ ستمثل أهمية كبيرة لهذا التحقيق.

- أنا لا أدخن، ولذلك أعتقد أنني كنت سألاحظ إذا كانت هناك رائحة للتبغ. لم يكن هناك دليل من أي نوع، الحقيقية المادية الوحيدة هي أن زوجة البواب، السيدة تانغي، أسرعت لتخرج من المكان، ولم يستطع البواب إعطائنا أي تفسير لذلك سوى أن هذا هو الموعد المعتاد لذهابها إلى المنزل.

وقد اتفقنا أنا والشرطي على أن الخطة المثالية هي محاصرتها في المنزل قبل أن تتخلص من الأوراق.... على افتراض أنها قد أخذتها.

كان الإنذار قد وصل إلى سكتلنديارد في ذلك الوقت، وجاء المحقق السيد فوربس في الحال وشرع في معالجة القضية بهمة كبيرة، فاستأجرنا عربة بعجلتين، وفي خلال نصف ساعة كنا قد وصلنا إلى العنوان الذي قدمه البواب حيث فتحت لنا الباب امرأة صغيرة السن تبين فيما بعد أنها الابنة الكبرى للسيدة تانغي، ولم تكن أمها قد رجعت بعد فأرشدتنا إلى الغرفة الأمامية لننتظرها. بعد مرور نحو عشر دقائق

سمعنا دقات على الباب، وعندها ارتكبنا خطأً فاحشاً ألوم نفسي عليه؛ لقد تركنا الفتاة لتفتح الباب بدلاً من أن نفتحه بأنفسنا، وقد سمعناها تقول:

أمي، في المنزل رجلان ينتظرانك.

وبعد ذلك بلحظة سمعنا وقع خطوات مبتعدة في الممر، ففتح فوربس الباب بعنف وجرينا إلى الغرفة الخلفية والمطبخ، ولكن المرأة كانت قد سبقتنا ووقفت تحدق إلينا بنظرات متحدية، ثم تعرفت عليَّ فجأة فعلا وجهها تعبير من الدهشة المطلقة وصاحت يا للعجب! إنه السيد فيلبس الذي يعمل بالمكتب!

سألها رفيقي قائلاً:

هيا، من كنت تحسبيننا حين هربت؟

قالت:

ظننتكما من المحصلين، فنحن نعاني من مشكلة مع أحد التجار.

أجابها فوربس قائلاً:

ليس هذا مقنعاً بما فيه الكفاية، فلدينا من الأسباب ما يدفعنا إلى

الشك بأنك قد أخذت أوراقاً مهمة من وزارة الخارجية ونظن أنك هربت إلى هنا لتتخلصي منها، ولذلك يجب عليك أن تأتي معنا إلى إدارة الشرطة لنفتشك.

ضاعت كل اعتراضاتها ومقاومتها هباء، واستأجرنا عربة ذات أربع عجلات فركبناها نحن الثلاثة وعدنا بها، ولكن قبل ذلك قمنا بفحص المطبخ، ولا سيما الموقد، لنتأكد من أنها لم ترم الأوراق في اللحظة التي كانت فيها بمفردها، ولكن لم يكن هناك أي أثر لرماد أو قصاصات على أية حال.

وعندما وصلنا إلى إدارة سكتلنديارد تم تسليمها على الفور إلى السيدة المتخصصة في تفتيش النساء، وانتظرت وأنا أتعذب من الترقب حتى عادت ومعها تقريرها عن التفتيش، ولم يكن للأوراق أي أثر.

عندئذ بدأت أحس بالرعب للمرة الأولى، فحتى تلك اللحظة كنت أتحرك وقد خدرت الحركة تفكيري، وقد كنت واثقاً جداً من استعادة المعاهدة في الحال لدرجة أنني لم أفكر في العواقب التي ستحدث إذا فشلت في ذلك، أما في تلك اللحظة فلم يعد أمامي ما يمكن عمله واتسع الوقت أمامي لأدرك موقفي الذي كان موقفاً رهيباً! سيؤكد

لك واطسون أنني كنت ولداً حساساً وعصبياً في المدرسة... إنها طبيعتي. وحينها فكرت في خالي وفي زملائه في المجال وفي العار الذي جلبته عليه وعلى نفسي وعلى كل من له علاقة بي، وبالرغم من أنني كنت ضحية حادثة غير عادية إلا أنه من غير المسموح وقوع مثل هذه الحوادث فيما يتعلق بالمصالح الدبلوماسية.

لا أعرف ماذا فعلت، ولكني أذكر أنني قد انفجرت غاضباً، وأذكر بشكل مبهم أن مجموعة من الموظفين قد تجمعوا حولي لتهدئتي، وأذكر أن واحداً منهم رافقني حتى محطة واترلو وأوصلني إلى القطار المتجه إلى ووكنغ، وأظن أنه كان سيأتي معي لولا أن الدكتور فيرير الذي يعيش بالقرب مني كان مسافراً بالقطار ذاته وتولى هو مسؤولية توصيلي، وكان ذلك أمراً جيداً إذا انتابتني نوبة في المحطة، وقبل أن نصل إلى المنزل كنت أهذي كالمجنون!

يمكنك أن تتخيل كيف كانت الأمور هنا حين أيقظتهم دقات الطبيب على الباب ليجدوني في تلك الحالة.

لقد تحطم قلب المسكينة آني وأمي معاً، وكان الدكتور فيرير قد سمع ما يكفي من المحقق في المحطة ليكون فكرة عما حدث، ولم يكن ما قاله مطمئناً فقد كان من الواضح أنني على أبواب مرض طويل،

ولذلك أخرجوا جوزيف من غرفته المبهجة بسرعة وحولوها إلى غرفة تمريض لي.

وهكذا رقدت- يا سيد هولمز- لما يزيد على تسعة أسابيع فاقداً الوعي وأهذي بسبب حمى في الدماغ، ولولا الآنسة هاريسون التي لم تفارقني وعناية الطبيب لما كنت أتكلم معك الآن، فقد مرضتني نهاراً واعتنت بي ممرضة مستأجرة في أثناء الليل، إذا كان من الممكن أن أفعل أي شيء خلال نوبات هياجي!

استعدت رشدي ببطء، ولكن لم ترجع لي الذاكرة إلا في الأيام الثلاثة الماضية، وإن كنت أتمنى أحياناً لو لم ترجع مطلقاً.

كان أول ما فعلته هو أن بعثت برقية إلى السيد فوربس الذي كان يتولى القضية، وقد حضر وأكد لي أنه بالرغم من القيام بجميع الإجراءات إلا أنهم لم يعثروا على أثر لأي دليل، وقد تحققوا من البواب وزوجته بكل طريقة ممكنة إلا أنهم لم يتوصلوا إلى أي شيء يفيدهم في هذا الموضوع وقد تركزت شكوك الشرطة على الشاب غورو الذي كان قد مكث وقتاً إضافياً في المكتب تلك الليلة كما تذكر، وإن كان أساس شكهم يرتكز على نقطتين فقط:

بقائه بعد الآخرين، واسمه الفرنسي. ولكن أنا لم أبدأ العمل إلا

بعد ذهابه في حقيقة الأمر، وبالرغم من أن أهله من أصل فرنسي إلا أنه لا يقل في عاداته وولائه لإنجلترا عني وعنك.

وبما أنهم لم يجدوا ما يدل على تورطه بأي شكل فقد تركوا الأمر، ولهذا فقد توجهت إليك كأمل أخير يا سيد هولمز، ولو أنك خذلتني فسوف أخسر شرفي وعملي إلى الأبد.

استلقى المريض على وسادته متعباً بعد سرد حكايته الطويلة، في حين قامت ممرضته بإعطائه بعض الدواء المنشط، أما هولمز فقد جلس صامتاً ورأسه مائل إلى الخلف وعيناه مغلقتان، وهو سلوك قد يعتبره الغريب كسلاً، ولكنني أعرف أنه رمز لمدى استغراقه الشديد في التفكير.

قال هولمز أخيراً:

روايتك واضحة جداً لدرجة أنك لم تترك لي إلا أسئلة قليلة لأسألها، ولكني بحاجة فورية إلى جواب على سؤال واحد:

هل أخبرت في تلك الليلة أيا كان بأنك قد كلفت بهذه المهمة الخاصة؟

- لا أحد.

- ولا حتى الآنسة هاريسون الموجودة هنا على سبيل المثال؟

– نعم، فأنا لم أرجع إلى منزلي في ووكنغ في الفترة التي فصلت بين تلقي الأمر والبدء بتنفيذ تلك المهمة.

– ألم يأت أحد من أهلك مصادفة لرؤيتك؟

– لا أحد.

– وهل يعرف أي منهم طريقه داخل المكتب؟

– نعم، فجميعهم حضر إلى المكتب من قبل.

– وبالرغم من ذلك فكل هذه التساؤلات ليس لها أهمية بالطبع إذا لم تكن قد أخبرت أحداً عن المعاهدة.

– لم أقل شيئاً لأحد.

– هل تعرف شيئاً عن البواب؟

– لا شيء عدا أنه جندي قديم.

– في أي سلاح؟

– لقد سمعت أنه كان في الحرس الملكي.

– شكراً لك. لست أشك أدنى شك في أنني أستطيع الحصول على هذه التفصيلات من فوربس، فالسلطات ممتازة في تكديس الحقائق بالرغم من عدم استفادتهم منها.

سألته السيدة الصغيرة:

هل لديك أي أمل بحل هذا اللغز يا سيد هولمز؟

– حسناً، سيكون من غير المعقول أن أنكر أن هذه قضية غامضة ومعقدة جداً، ولكنني أؤكد لكم بأني سأدرس الأمر وأبلغكم بأية نقاط قد تحظر على بالي.

– هل ترى أي دليل؟

– لقد زودتموني بسبعة أدلة، ولكن يجب عليَّ أن أدرسها بالطبع قبل أن أقدر مدى فائدتها.

– هل تشك بأحد؟

– أنا أشك بنفسي.

– ماذا؟!

– لأنني توصلت إلى الحل بهذه السرعة.

– فلتذهب إلى لندن وتدرس استنتاجاتك إذن.

نهض هولمز قائلاً: نصيحتك ممتازة جداً يا آنسة هاريسون، وأعتقد أن هذا هو خير ما نفعله يا واطسون. لا تغرق نفسك في الآمال الكاذبة يا سيد فيلبس، فالأمر متشابك جداً.

صاح الدبلوماسي:

سأنتظر رؤيتك على أحر من الجمر.

– حسناً، سآتي إلى هنا غداً بنفس القطار، بالرغم من أنه من المرجح أن يكون تقريري سلبياً.

صاح عميلنا:

شكراً لوعدك بالمجيء، فمجرد معرفة أن شيئاً ما يتم عمله يعطيني أملاً جديداً.

أوصلنا السيد جوزيف هاريسون إلى المحطة وسرعان ما كنا ننطلق بسرعة في قطار بورتسماوث فيما غرق هولمز في تفكير عميق لدرجة أنه لم يفتح فمه حتى تخطينا تقاطع كلافام، وحينها قال:

ما رأيك بالآنسة هاريسون؟

– إنها فتاة ذات شخصية قوية.

– أجل، ولكنها طيبة إذا لم أكن على خطأ، وهما (هي وأخوها) الابنان الوحيدان لأحد كبار رجال صناعة الحديد في مكان ما في الشمال ناحية نورثمبرلاند.

كان فيلبس قد خطبها حين سافر في الشتاء الماضي، ثم ذهبت

لزيارته في ووكنغ لتتعرف بأهله ومعها أخوها مرافقاً لها، ثم وقعت الواقعة فبقيت لتمرض خطيبها، أما أخوها فقد بقي حين وجد نفسه في وضع مريح. لقد كنت أقوم ببعض التحريات كما ترى.... اليوم يجب أن يكون يوم التحريات. يجب أن نبدأ بزيارة فوربس، فمن المحتمل أن يبلغنا بكل ما نريد من التفصيلات حتى نعرف من أي جانب نبدأ بحل هذه القضية.

– لقد قلت إن عندك دليلاً.

– حسناً، عندنا عدة أدلة، ولكننا لا نستطيع تقدير مدى قيمتها إلا عن طريق المزيد من الأسئلة.

إن أصعب الجرائم هي تلك الجريمة التي تبدو بلا هدف، وهذه الجريمة ليست بلا هدف، فمن ذا الذي سيستفيد منها؟ لدينا السفير الفرنسي والسفير الروسي، ولدينا من يمكنه أن يبيع المعاهدة لأحدهما، ولدينا اللورد هولد هورست.

– اللورد هولد هورست!

– حسناً، من الممكن أن يجد رجل دولة نفسه في موقف حيث لا يكون آسفاً على دمار مثل هذه الوثيقة عن طريق الخطأ.

– ولكن ليس كل رجل دولة له مثل هذا السجل المشرف للورد

هولد هورست.

– إنه مجرد احتمال ولكن لا يمكننا أن نتغاضي عنه، لذلك سوف نقابل اللورد النبيل اليوم لنكتشف ما إذا كان سيخبرنا بأي شيء. بعد ذلك هناك الجرس بالطبع، وهو من أكثر عناصر هذه القضية تميزاً، فلماذا تم رن الجرس؟

هل قام السارق بذلك كنوع من التبجح، أم كان من فعل ذلك شخصاً رافق اللص وأراد منع الجريمة، أم كان الأمر غير مقصود، أم هل كان....؟

غرق ثانية في حالة من التفكير الصامت العميق الذي كان قد خرج منه، ولأنني معتاد على كل تقلباته المزاجية فقد بدا لي أن احتمالاً جديداً قد خطر له فجأة.

كانت الساعة الثالثة والثلث حين وصلنا إلى وجهتنا، وبعد وجبة سريعة اتجهنا إلى إدارة سكتلنديارد.

وكان هولمز قد أبرق بالفعل إلى فوربس فوجدناه في انتظارنا، وهو رجل ضئيل ماكر ذو ملامح حادة ولكنها ودودة على أية حال، وقد خاطب هولمز قائلاً:

يسعدني أن تعطيني تلميحاً أو اثنين، فأنا لم أحصل على شيء من هذه

القضية حتى الآن.

– ما الخطوات التي اتخذتها؟

– قمنا بتعقب البواب، وقد علمنا أنه ترك الحرس الملكي وهو مشهود له بالسمعة الحسنة، ولم نستطع اكتشاف أي شيء ضده. أما زوجته فهي امرأة سيئة، وأظن أنها تعرف عن هذا الأمر أكثر مما تظهر.

– هل تتبعتموها؟

– لقد كلفنا امرأة من جماعتنا بذلك، ولكنها لم تستطع استخلاص أي شيء منها.

– فهمت أن بعض التجار كانوا في منزل البواب؟

– أجل، ولكن ديونهم دفعت كلها.

– ومن أين أتوا بالمال؟

– كان هذا الأمر شرعياً، فقد قبض تانغي البواب راتبه التقاعدي، ولم يظهر أي أثر لمبالغ مالية غير شرعية.

– وماذا كان تفسير المرأة لردها على الجرس الذي قرعه السيد فيلبس عندما أراد القهوة؟

– قالت إن زوجها كان متعباً وأرادت مساعدته.

– حسناً، هذا يتفق مع العثور عليه نائماً في مقعده بعد ذلك بقليل. لا شيء ضدهما إذن إلا سلوك المرأة. هل سألتها لماذا أسرعت راحلة تلك الليلة؟ فقد جذبت سرعتها انتباه الشرطي.

– قالت إنها كانت قد تأخرت عن ميعادها المعتاد وأرادت الوصول إلى المنزل.

– وهل أوضحت لها أنك ومعك السيد فيلبس قد وصلتما قبلها بالرغم من كونكما انطلقتما بعدها بعشرين دقيقة على الأقل؟

– لقد قالت إن ذلك هو الفارق بين الحافلة الكبيرة والعربة الخاصة.

– وهل أوضحت سبب جريها إلى المطبخ حينما وصلت إلى المنزل؟

– لأنها وضعت المال الذي ستدفعه إلى السماسرة هناك.

– يبدو أنها تملك جواباً لكل سؤال. هل سألتها عما إذا كانت قد قابلت أو رأت أحداً يتسكع بالقرب من شارع تشارلز؟

– لم تر أحداً إلا الشرطي.

– حسناً، يبدو أنك استجوبتها بدقة. ماذا فعلت أيضاً؟

– تعقبنا الموظف غورو طوال الأسابيع التسعة الماضية، ولكن بلا

نتيجة، فلم نعثر على أي دليل ضده.

– أهناك شيء آخر؟

– حسناً، ليس لدينا شيء لنعمل عليه، فلا يوجد دليل من أي نوع.

– هل كونت نظرية عن الكيفية التي تم بها رن ذلك الجرس؟

– حسناً، يجب أن أعترف بأنني احترت في هذا الأمر، ولكن أياً كان من فعل ذلك فهو جريء جداً.

– أجل، لقد كان من الغريب فعل ذلك. شكراً جزيلاً على كل ما قلته لي، وسأخبرك إذا كنت أستطيع مساعدتك في القبض على الفاعل. هيا بنا يا واطسون.

سألته حين انصرفنا:

إلى أين سنذهب الآن؟

– سنذهب الآن لمقابلة اللورد هولد هورست الوزير بمجلس الوزراء ورئيس وزراء إنجلترا المقبل.

حالفنا الحظ فوجدنا اللورد هولد هورست ما يزال في مقر الحكومة في شارع داوننغ، وعندما أرسل هولمز بطاقته الشخصية إليه سمحوا لنا

بالصعود على الفور.

وقد استقبلنا رجل الدولة بلباقته التقليدية المعروفة ودعانا إلى الجلوس على الأريكتين الفاخرتين على جانبي المدفأة، وظهر من وقفته بيننا في الممر بجسمه الطويل النحيل وملامحه الحادة ووجهه المفكر وشعره المجعد الذي يتخلله شيب مبكر أنه نبيل من أصل عريق وليس من عامة الناس.

ابتسم قائلاً:

اسمك مألوف يا سيد هولمز، وبالطبع لا أستطيع التظاهر بأنني أجهل سبب زيارتك، فلا شيء يجذب انتباهك في هذه المكاتب إلا أمر واحد فقط. فهل لي أن أسالك:

لمصلحة من تعمل يا سيد هولمز؟

أجاب هولمز:

لمصلحة السيد بيرسي فيلبس.

– آه، ابن أختي السيىء الحظ! أنت تفهم الآن قرابتنا تزيد من استحالة تدخلي لحمايته بأية طريقة، وأخشى أن لهذه الحادثة أثراً ضاراً

جداً بمستقبله الوظيفي.

– ولكن ماذا لو عثر على الوثيقة؟

– آه، في هذه الحالة سيكون الأمر مختلفاً بالطبع.

– أحب أن أسالك سؤالاً أو اثنين يا لورد هولد هورست.

– سأكون سعيداً إذا استطعت تزويدك بأية معلومات مفيدة.

– هل أعطيت تعليماتك بنسخ الوثيقة في هذه الغرفة؟

– نعم.

– ألا يمكن إذن أن يكون أحد قد سمعكما؟

– هذا أمر غير ممكن.

– هل حدثت أيا كان بنيتك إعطاء المعاهدة لشخص ما لنسخها؟

– إطلاقاً.

– هل أنت متأكد من ذلك؟

– تماماً.

– حسناً، حيث إنك لم تخبر أحداً، وكذلك السيد فيلبس، ولم يعلم أي

شخص شيئاً عن هذا الموضوع، فلا بد أن وجود السارق إذن في الغرفة هو من باب المصادفة البحتة، ولابد أنه رأى الفرصة سانحة فانتهزها.

ابتسم رجل الدولة وقال:

أنت تأخذني إلى خارج اختصاصي بهذا الكلام.

فكر هولمز للحظة وقال:

لدي نقط أخرى مهمة جداً أرغب في مناقشتها معك، فقد فهمت أنك تخشى من العواقب الوخيمة التي ستعقب تسرب تفصيلات هذه المعاهدة وانتشارها.

اكفهر وجه رجل الدولة المعبر وقال:

نتائج وخيمة جداً بالفعل.

– وهل حدث شيء منها؟

– ليس بعد.

– وهو تتوقع أن تعرف إذا وصلت المعاهدة، فرضاً، إلى السفارة الفرنسية أو الروسية؟

تجهم وجه اللورد هولد هورست وقال:

بالتأكيد.

– لقد مر الآن نحو عشرة أسابيع ولم نسمع أي شيء، إذن فليس من غير المنطقي أن نفترض أن المعاهدة لم تصل إليهم لسبب ما.

هز اللورد هولد هورست كتفيه وقال:

من المستبعد أيضاً أن نعتقد أن اللص قد أخذ المعاهدة ليضعها في إطار ويعلقها على الجدار.

– لعله ينتظر سعراً أعلى.

– إذا انتظر وقتاً أطول قليلاً فلن يحصل على أي سعر، فالمعاهدة ستصبح علنية خلال بضعة شهور.

قال هولمز:

هذا أمر مهم جداً، ولكن بالطبع من الممكن أن يكون اللص قد مرض مرضاً مفاجئاً....

سأله رجل الدولة وهو يلقي عليه بنظرة سريعة:

نوبة من حمى الدماغ مثلاً؟

قال هولمز برباطة جأش:

لم أقل ذلك حسناً، لقد أخذنا الكثير من وقتك الثمين يا لورد هولد

هورست، وسوف نتركك الآن متمنيين لك يوماً سعيداً.

أجابه النبيل وهو يرافقنا حتى الباب:

أتمنى لك النجاح في تحقيقاتك، وليكن اللص من يكون.

قال هولمز عندما خرجنا إلى الشارع:

إنه رجل نزيه ولكنه يناضل من أجل الاحتفاظ بمكانته، فهو ليس غنياً وعليه أعباء كثيرة. لقد لاحظت بالطبع أنه قد أعاد تركيب نعل جديد لحذائه. والآن يا واطسون لن أؤخرك عن عملك الطبي أكثر من ذلك، فلن أفعل شيئاً اليوم إلا إذا جائني رد على إعلان عربة الأجرة، ولكنني سأكون ممتناً جداً لك إذا ذهبت معي إلى ووكنغ غداً في نفس القطار الذي ركبناه بالأمس.

قابلته في صباح اليوم التالي وفقاً للموعد وسافرنا معاً إلى ووكنغ، وقد علمت أنه لم يجد أية أدلة جديدة تحل غموض القضية. وقد كسا وجه هولمز جمود الهنود الحمر (وهو معتاد على فعل ذلك كلما شاء) فلم أستطع أن أستنتج أهو راض عن سير القضية أم غير راض.

وجدنا عميلنا ما يزال تحت رعاية ممرضته المخلصة، ولكنه بدا

أحسن حالاً بشكل واضح حيث قام لتحيتنا دون صعوبة عندما دخلنا ثم سألنا بلهفة:

هل لديكما أخبار جديدة؟

قال هولمز:

تقريري سلبي كما توقعت، فقد قابلت فوربس ثم قابلت خالك، وبعد ذلك بدأت سلسلة من التحقيقات قد تؤدي إلى شيء.

- لم تفقد الحماسة إذن؟

- إطلاقاً.

قال فيلبس وهو يعود إلى الجلوس على الأريكة:

إذن فإن ما عندنا من الأخبار أكثر مما عندك. لقد حظينا بمغامرة في أثناء الليل ربما تثبت خطورتها.

ارتسمت ملامح الجد على وجهه وهو يتكلم، ومعها ظهر شيء يشبه الخوف في عينيه وقال:

أتعلم؟ لقد بدأت أظن بأنني محور لمؤامرة وحشية وأن المستهدف هو حياتي بالإضافة إلى شرفي.

صاح هولمز:

حقاً؟!

– هذا الأمر يبدو غير معقول، فليس لي أعداء في العالم كما أظن! ولكن بعد تجربتي في الليلة الماضية ليس أمامي أي استنتاج آخر.

– أرجوك أسمعني القصة.

قال:

يجب أن تعرف أن الليلة الماضية هي الأولى التي أقضيها بلا ممرضة؛ فقد أحسست بأنني تحسنت كثيراً واعتقدت أنني أستطيع الاستغناء عنها، وكانت الإضاءة خافتة على أية حال...

حسناً، في الساعة الثانية صباحاً تقريباً غرقت في نوم خفيف حتى أيقظتني ضوضاء طفيفة، وقد بدا ذلك الصوت كصوت فأر يقرض لوحاً خشبياً، فرقدت أستمع إليه وكلي اعتقاد أن ذلك هو مصدر الصوت بالفعل. ثم علا الصوت وتلاه صوت آخر لقرقعة معدنية حادة من النافذة، فاستقمت جالساً في دهشة إذ لم يعد لدي عندئذ مجال للشك في حقيقة هذه الأصوات؛ فالصوت الأول كان لأن شخصاً ما

أخذ يحاول إدخال آلة من الشق الموجود بين إطاري النافذة، والثاني كان صوت القفل وهو يدفع إلى الخلف!

سادت فترة من الصمت امتدت لعشر دقائق، كما لو كان ذلك الشخص ينتظر ليرى ما إذا كان الصوت قد أيقظني أم لا.

ثم سمعت صوت صرير خفيف حين بدأت النافذة تفتح ببطء شديد، فلم أحتمل الأمر أكثر من ذلك حيث لم تعد أعصابي كما كانت، فقفزت من السرير وفتحت مصراعي النافذة فوجدت رجلاً رابضاً خلفها!

لم أره بوضوح لأنه اختفى كلمح البصر، وكان ملتفاً بشيء يشبه العباءة يغطي به النصف الأسفل من وجهه، ولكنني متأكد من شيء واحد، وهو أنه كان يحمل في يده سلاحاً ما بدا لي أنه شيء طويل، وقد ميزت لمعته عندما استدار ليجري.

قال هولمز:

هذا أمر مثير للاهتمام!

وماذا فعلا بعد ذلك؟

– كان يجب أن أتبعه من النافذة المفتوحة لو كنت أكثر قوة، ولكنني

لم أفعل؛ بل قمت بدق الجرس وأيقظت كل من في المنزل، الأمر الذي استغرق بعض الوقت لأن الجرس في المطبخ والخدم كلهم ينامون في الدور العلوي.

وقد صرخت بقوة أيضاً، وعلى إثر ذلك حضر جوزيف ثم أيقظ الباقين، وقد وجد جوزيف ومعه السائس آثاراً في حوض الزهور خارج النافذة، ولكن لأن الجو كان جافاً جداً في الأيام الأخيرة فقد كان تعقب الآثار على العشب بلا جدوى، وإن كان هناك- على أية حال- مكان في السور الخشبي الذي يطوق الطريق ظهرت فيه علامات كما أخبروني، كما لو كان أحدهم قد قفز فوقه فخلع الحاجز العلوي منه. على أية حال فأنا لم أبلغ الشرطة بعد إذ ظننت أن من الأفضل أن أعرف رأيك أولاً.

بدا لي أن قصة عميلنا قد أثرت في شيرلوك هولمز تأثيراً استثنائياً، حيث قام عن مقعده وأخذ يمشي في الغرفة قد هزت فيلبس إلى حد ما بالرغم من أنه ابتسم قائلاً:

المصائب لا تأتي فرادى!

قال هولمز:

لقد نلت كفايتك منها حقاً. هل تظن أنك قادر على المشي معي حول المنزل؟

- نعم، أحب أن أتمتع بضوء الشمس، وسوف يأتي جوزيف أيضاً.

قالت الآنسة هاريسون:

وأنا أيضاً.

قال هولمز وهو يهز رأسه:

أخشى أن هذا غير ممكن؛ سوف أطلب منك البقاء جالسة حيث أنت.

عادت الشابة إلى كرسيها بامتعاض، أما أخوها فقد لحق بنا. وانطلقنا معاً نحن الأربعة فعبرنا العشب حتى وصلنا إلى خارج نافذة الدبلوماسي الشاب، وهناك وجدنا- كما قال- علامات على حوض الزرع، ولكنها كانت علامات مموهة ومبهمة بشكل محبط. وقد وقف هولمز ليدرسها للحظة ثم اعتدل وهو يهز كتفيه وقال:

لا أعتقد أن هذه العلامات ذات فائدة. فلندر حول المنزل لنرى لماذا اختار اللص هذه الغرفة بالذات، فأنا أظن أن النوافذ الأكبر حجماً

لغرفة المكتب تمثل فرصة أفضل بالنسبة له.

قال جوزيف هاريسون مقترحاً:

ولكن أيمكن رؤيتها من الطريق؟

– آه، نعم، بالطبع. هنا باب كان من الممكن أن يجربه، إلى أين يقود هذا الباب؟

– إنه المدخل الجانبي للبائعين، وهو مغلق في الليل بالطبع.

– هل سبق أن حدث مثل هذا الهجوم من قبل؟

قال عميلنا:

إطلاقاً.

– هل تحتفظون بأدوات مائدة فضية أو ذهبية أو أي شيء آخر يجذب اللصوص؟

– لا شيء له قيمة.

تجول هولمز حول المنزل ويداه في جيبيه ومظهره يدل على تهاون غير معتاد، ثم قال لجوزيف هاريسون:

بالمناسبة، فهمت أنكم قد عثرتم على المكان الذي تسلق منه ذلك الشخص السور. فلنلق نظرة عليه.

قادنا الشاب الممتلئ إلى البقعة حيث انكسر الجزء العلوي من السور، وكانت هناك قطعة خشبية متدلية قام هولمز بسحبها وتفحصها بنظرة ثاقبة ثم قال:

هل تعتقد أن هذا تم بالأمس؟ إنه يبدو أقدم من ذلك قليلاً، أليس كذلك؟

- حسناً، هذا ممكن.

- لا توجد أية علامات تدل على أن أحداً قد قفز إلى الناحية الأخرى. أعتقد أننا لن نحظى بشيء هنا. هيا بنا، لنعد إلى غرفة النوم لنناقش الأمر مليا.

كان بيرسي فيلبس يمشي ببطء متكئاً على ذراع جوزيف هاريسون فيما مشى هولمز مسرعاً عبر المرج العشبي، فوصلنا أنا وهو إلى النافذة المفتوحة قبل وصول الرجلين الآخرين بوقت طويل، وقال هولمز وهو يتحدث بأسلوب شديد الحدة:

يجب أن تمكثي في مكانك يا آنسة هاريسون طوال اليوم ولا تدعي شيئاً يمنعك من ذلك، في هذا الأمر أهمية قصوى.

قالت الفتاة بدهشة:

بالتأكيد، إذا كان هذا ما تريده يا سيد هولمز.

– وعندما تذهبين إلى النوم أقفلي الباب من الخارج واحتفظي بالمفتاح. عديني أن تفعلي ذلك.

– وبيرسي؟

– سيذهب معي إلى لندن.

– وأنا سأبقي هنا؟

– هذا من أجله؟ وأنت بذلك تسدين إليه خدمة. أسرعي وعديني.

هزت رأسها بسرعة دليلاً على الموافقة، فيما حضر الآخران فصاح فيها أخوها قائلاً:

لماذا تجلسين باكتئاب هناك يا آني؟ تعالي إلى هنا في الخارج لتتمتعي بأشعة الشمس.

– لا، شكراً لك يا جوزيف؛ فأنا أشكو من صداع خفيف وهذه الغرفة باردة ومريحة.

سأل عميلنا هولمز قائلاً:

ماذا تقترح الآن يا سيد هولمز؟

– حسناً، يجب أن لا نسمح لهذه القضية البسيطة بأن تقلل من

اهتمامنا بالتحقيق الرئيسي، ولذلك سيكون من المفيد جداً قدومك معنا إلى لندن.

– على الفور؟

– حسناً، حالما تستعد... فلنقل خلال ساعة.

– إذا كان ذهابي ذا فائدة فأنا أشعر بأنني أحسن حالاً بكثير.

– سيكون لذهابك أعظم فائدة ممكنة.

– وهل تريدني أن أقضي الليلة هناك؟

– كنت على وشك اقتراح ذلك.

– وهكذا إذا جاء صديق الليل لزيارتي مرة أخرى فسيجد أن العصفور قد طار!

نحن جميعاً تحت أمرك يا سيد هولمز، ويجب عليك إخبارنا بالضبط بالذي تريدنا أن نفعله. لعلك تفضل أن يأتي جوزيف معنا ليعتني بي؟

– لا، صديقي واطسون طبيب وسيعتني بك. سوف نتناول الغداء ثم نتجه نحن الثلاثة معاً إلى المدينة.

تم الأمر كما اقترح هولمز، واستأذنت الآنسة هاريسون لتبقى في

الغرفة تبعاً لوصيته. ولم أستطع فهم غرض صديقي من هذه المناورات، إلا إذا كان يريد إبعاد الآنسة عن فيلبس. وقد كان لدى هولمز مفاجأة مذهلة لنا على أية حال؛ فبعدما اصطحبنا إلى المحطة وأركبنا في القطار أعلن بهدوء أنه لا نية لديه في مغادرة ووكنغ! قال:

توجد نقطة أو اثنتان أريد توضيحاً لهما قبل مغادرتي، وغيابك يا سيد فيلبس سوف يساعدني بطريقة ما.

أرجو منك يا واطسون أن تتفضل حين تصل إلى لندن بالذهاب إلى منزلنا في شارع بيكر في الحال والبقاء هناك مع صديقنا حتى أراكما ثانية، ومن حسن الحظ أنكما صديقا مدرسة قديمان وستجدان الكثير لتتحدثا عنه. يستطيع السيد فيلبس النوم في الحجرة الإضافية هذه الليلة، وسوف أكون معكما غداً وقت الإفطار حيث يصل القطار إلى محطة واترلو في الساعة الثامنة.

سأل فيلبس:

ولكن ماذا عن تحقيقنا في لندن؟

- نستطيع القيام بذلك غداً، أما في الوقت الحاضر فأرى أن

وجودي هنا أكثر إلحاحاً.

صاح فيلبس عندما بدأ قطارنا بالتحرك:

أرجو أن تخبرهم في المنزل بأنني سأعود غداً مساء.

أجابه هولمز وهو يلوح بيده بابتهاج ونحن نغادر المحطة:

لا أظن أنني سأعود إلى المنزل.

ناقشت الأمر مع فيلبس في أثناء الرحلة، ولكن لم يستطع أي منا تحديد سبب مقنع لهذا التطور الجديد! وحين وصلنا إلى شارع بيكر قلت:

والآن هيا إلى النوم لنستيقظ ونحن في كامل النشاط لمواجهة ما ينتظرنا غداً.

استطعت إقناع رفيقي بالأخذ بنصيحتي رغم معرفتي بأنه لا أمل له في النوم نظراً إلى انفعاله. حتى أنا بقيت أتقلب حتى منتصف الليل وأنا أفكر في هذه المشكلة الغريبة وأصوغ مئات النظريات وكل واحدة منها أكثر استحالة من الأولى، فلماذا بقي هولمز في ووكنغ؟

ولماذا طلب من الآنسة هاريسون البقاء في غرفة التمريض طوال

اليوم؟

ولماذا كان حريصاً على أن لا يخبر أياًّ من سكان المنزل بأنه سيمكث بالقرب منهم؟

مضيت أقدح زناد فكري حتى غرقت في النوم وأنا آمل إلى العثور على حل يدل على هذه الحقائق كلها.

استيقظت في الساعة السابعة صباحاً وانطلقت فوراً إلى غرفة فيلبس لأجده منهكاً متعباً بعد ليلة من الأرق، وقد بادرني بالسؤال عن هولمز فقلت:

سيصل في الموعد الذي وعدنا به بالضبط، لا قبله ولا بعده.

كان كلامي صحيحاً، فبعد الثامنة بقليل توقفت عربة أمام الباب ونزل منها صديقنا، وقد رأيناه ونحن واقفان في النافذة حيث لاحظنا أن يده اليسرى ملفوفة بضمادة ووجهه متجهم شاحب! ثم دخل المنزل، ولكن مر بعض الوقت حتى صعد إلينا.

صاح فيلبس:

يبدو وكأنه قد ضرب!

كنت مضطراً إلى الاعتراف بأن ما يقوله صحيح فقلت:

من المحتمل أن يكون الحل هنا في المدينة.

تأوه فيلبس وقال:

لا أدري ماذا حدث، ولكنني كنت أعلق الكثير من الآمال على رجوعه، ولكن بالطبع لم تكن يده مربوطة في الأمس، فماذا يمكن أن يكون الأمر؟!

سألت صديقي حين دخل إلى الغرفة:

هل أنت مجروح يا هولمز؟

أجاب هولمز وهو يومئ إلينا بتحية الصباح وقال:

إنه خدش فقط من جراء حركاتي الخرقاء. قضيتك- يا سيد فيلبس- واحدة من أكثر القضايا التي عملت فيها غموضاً.

- أخشى أن لا تتمكن من حلها.

- لقد كانت من أكثر التجارب روعة.

فقلت:

الضمادة تدل على مغامرات. ألن تخبرنا بما حدث؟

– بعد الإفطار يا عزيزي واطسون؛ فأنا جائع جداً بعدما استنشقت هواء الريف على امتداد ثلاثين ميلاً!

أظن أننا لم نتلق أي رد على إعلان عربة الأجرة. حسناً، لا نستطيع أن نتوقع التوفيق في كل مرة.

كانت المائدة جاهزة، وفيما كنت على وشك دق الجرس دخلت السيدة هدسون حاملة صينية القهوة والشاي، وبعدها بعدة دقائق أحضرت ثلاثة أطباق مغطاة. جلسنا جميعاً حول المائدة، وكان هولمز متحفزا وكنت أنا فضولياً، أما فيلبس فكان غارقاً في أقسى حالات الاكتئاب.

قال هولمز وهو يكشف طبقاً من الدجاج بالكاري:

لقد تفوقت السيدة هدسون، وبالرغم من أن مطبخها محدود قليلاً إلا أنها تعتبر الإفطار وجبة أساسية. ماذا لديك في طبقك يا واطسون؟

أجبته قائلاً:

لحم وبيض.

– جيد، ماذا تفضل يا سيد فيلبس؛ البيض أم الدجاج بالكاري؟

قال فيلبس:

شكراً لك، لا أستطيع أكل شيء.

- ماذا؟! هيا، جرب هذا الطبق أمامك.

- شكراً لك، ولكني أفضل أن لا آكل.

قال هولمز بغمزة عابثة؛ حسناً، إذن أظن أنك لا تمانع في أن أساعدك برفع الغطاء؟

رفع فيلبس الغطاء، وعندئذ انطلقت من فمه صيحة وجلس يحدق بوجه شاحب كلون الطبق الأبيض الذي ينظر إليه، وقد بدت في وسطه لفافة من الورق الرمادي قام برفعها وراح يطيل النظر إليها، ثم أخذ يرقص بجنون في الغرفة وهو يصرخ من الفرح، وبعد ذلك سقط على كرسيه وهو يترنح بشدة!

قال هولمز مهدئاً وهو يربت على كتفيه:

هيا يا رجل! كان من الخطأ مفاجأتك بهذا الشكل، ولكن واطسون سيخبرك أنني لا أستطيع مقاومة بعض الإثارة.

خطف فيلبس يد هولمز وقبلها ثم صاح قائلاً:

باركك الله! لقد أنقذت سمعتي.

قال هولمز:

حسناً، ألا تعرف أن سمعتي كانت أيضاً على المحك؟ أؤكد لك أنني أكره الفشل في أي قضية كما هو الوضع بالنسبة إليك حين تخطئ في تنفيذ مهمة من المهمات.

وضع فيلبس الوثيقة الثمينة في جيب معطفه الأعمق وقال:

لا أجرؤ على مقاطعة إفطارك أكثر من ذلك، بالرغم من أنني أتحرق شوقاً إلى معرفة كيف أحضرتها ومن أين.

تجرع شيرلوك هولمز كوباً من القهوة ثم نقل اهتمامه إلى البيض واللحم، وبعدها قام فأشعل غليونه وجلس على كرسيه وقال:

سأخبرك ماذا فعلت في البداية، ثم أخبرك فيما بعد بالطريقة التي استخدمتها. بعد أن تركتكما في المحطة ذهبت في نزهة جميلة وسط مناظر الريف الساحرة حتى وصلت إلى قرية صغيرة جميلة اسمها ريبلى، حيث شربت الشاي في أحد الفنادق الصغيرة، ثم ملأت قارورتي وأخذت لفافة فيها بعض الشطائر. بقيت هناك حتى المساء، وبعد ذلك توجهت إلى ووكنغ مرة أخرى حيث وجدت نفسي علي الطريق العام خارج منزل (بريار بري) قبل الغروب تماماً، وقد انتظرت حتى أصبح الطريق خالياً، وإن كنت أعتقد أنه لا يكون مزدحماً في أي وقت، وعندها تسلقت السور إلى حديقة المنزل.

هتف فيلبس قائلاً:

لا بد أن البوابة كانت مفتوحة.

قال هولمز:

أجل، ولكن لي أسلوباً خاصاً في هذه الأمور. لقد قمت باختيار ذلك المكان حيث توجد شجرات الصنوبر الثلاث، واتخذت منها ستراً فوقفت خلفها دون أدنى فرصة في أن يراني أحد، ثم ربضت بين الشجيرات في الناحية الأخرى، وبعد ذلك زحفت من واحدة إلى أخرى حتى وصلت إلى الشجيرات الوردية الموجودة في الناحية المواجهة لغرفتك مباشرة، وجثمت؛ هناك مختبئاً أنتظر التطورات.

لم تكن الستائر مغلقة في غرفتك، ولذلك استطعت رؤية الآنسة هاريسون وهي جالسة تقرأ بجوار الطاولة، وقد كانت الساعة العاشرة إلا ربعاً عندما أغلقت كتابها وأسدلت الستائر ثم غادرت الغرفة، وسمعتها وهي تقفل الباب وتأكدت أنها قد أدارت المفتاح في القفل.

هتف فيلبس:

المفتاح!

قال هولمز:

نعم، فقد أعطيت الآنسة هاريسون تعليمات بأن تقفل الباب من الخارج وتأخذ معها المفتاح عندما تذهب إلى النوم، وقد نقذت أوامري بحذافيرها، ولولا تعاونها لما كان ممكناً أن تحصل على تلك الأوراق في جيب معطفك.

حسناً، ذهبت هي وأطفأت النور وبقيت أنا قابعاً وسط الشجيرات الوردية. كانت ليلة لطيفة، وبالرغم من ذلك كانت المراقبة مملة جداً، وإن كان يخالطها شعور بالإثارة.

ولكن الانتظار كان طويلاً جداً، وكانت ساعة الكنيسة تدق في ووكنغ كل ربع ساعة، وقد ظننت أكثر من مرة أنها توقفت. على أية الحال، أخيراً وفي نحو الساعة الثانية صباحاً سمعت فجأة صوتاً خفيفاً للسان قفل يدفع إلى الخلف وصرير مفتاح، وبعدها بدقيقة فتح باب الخدم وخطا السيد جوزيف هاريسون إلى الخارج في ضوء القمر.

هتف فيلبس:

جوزيف!

استطرد هولمز:

كان مكشوف الرأس وقد ألقى على كتفيه معطفاً أسود ليستطيع إخفاء وجهه في لحظة إن شعر بالخطر مشى على أطراف أصابعه في ظل

جدار، وعندما وصل إلى النافذة وضع سكيناً خلال الفارق الموجود بين مصراعي النافذة فدفع المزلاج إلى أعلى وفتحها، وقد كنت أحظى برؤية ممتازة لداخل الغرفة ولكل حركة من حركاته، فقد أشعل الشمعتين فوق رف المدفأة، وعندها بدأ برفع زاوية السجادة الموجودة بجوار الباب، ثم توقف لينتزع قطعة مربعة خشب الأرضيات كتلك التي يتركونها ليتمكن من الوصول إلى أنابيب الغاز، ومن ذلك الخشب سحب لفافة من الورق، ثم أعاد قطعة الخشب إلى مكانها وسوى السجادة، ثم أطفأ الشمعتين، وبعدها خرج إلى مباشرة حيث كنت أنتظره خارج النافذة. حسناً، يبدو أن السيد جوزيف أكثر شراً مما اعتقدت، فقد هجم عليَّ بسكينه فاضطررت إلىَّ ضربه وإلقائه على العشب مرتين، وجرحت مفاصل أصابعي

قبل أن أتمكن منه، وقد كانت عينه الوحيدة التي كان قادراً على أن يرى بها بعد ما انتهينا تنطق بالشر، ولكنه استمع إلى صوت العقل وتخلى عن الأوراق، وعندما حصلت عليها تركت الرجل يذهب، ولكنى أرسلت مواصفاته الكاملة إلى فوربس هذا الصباح، فإذا كان سريعاً بما فيه الكفاية وأمسك بالعصفور فخير له، أما إذا وجد العش خالياً قبل أن يصل إلى هناك (وهذا ما أتوقعه) فيكون ذلك في مصلحة

الحكومة؛ فأنا أعتقد أن اللورد هولد هورست من ناحية والسيد بيرسي فيلبس من ناحية أخرى يفضلان أن لا يصل الأمر إلى القضاء.

شهق عميلنا قائلاً:

يا إلهي! هل تعني أن الأوراق المسروقة كانت فى نفس الغرفة التى كنت فيها طوال أسابيع العذاب العشرة الطويلة؟ كل هذا الوقت؟ ا

- هكذا كان الأمر.

- وجوزيف..... جوزيف شرير وسارق؟!

- أخشى أن شخصية جوزيف أعمق وأكثر خطورة مما قد نحكم به عليه من خلال مظهره، وقد فهمت من كلامه هذا الصباح أنه غارق في المراهنة في البورصة وأنه مستعد لفعل أي شيء ليحسن فرصه، ولأنه رجل شديد الأنانية فقد استغل الفرصة التي سنحت له ولم يردعه حرصه على سعادة أخته أو سمعتك.

غرق بيرسي في كرسيه وقال:

إن رأسي يدور؛ لقد أذهلتني كلماتك.

علق هولمز بأسلوبه التعليمي قائلاً:

الصعوبة الرئيسية في قضيتك كمنت في حقيقة وجود الكثير من الأدلة، ولكن الأدلة الحيوية طمست بالأدلة التي لم يكن لها علاقة بالأمر، فمن بين كل الحقائق التي قدمت لي عمدت إلى اختيار تلك التي اعتقدت أنها أساسية ثم رتبتها معاً في نظام محكم حتى أعيد بناء هذه السلسلة من الأحداث. لقد بدأت أشك في جوزيف بالفعل حين عرفت حقيقة أنك كنت قد نويت السفر معه في تلك الليلة، ولذلك كان من الطبيعي أن يزورك وهو في طريقه إلى المحطة لأنه يعرف مبنى وزارة الخارجية معرفة جيدة.

وقد زادت شكوكي عندما عرفت أن شخصاً ما كان متلهفاً جداً لدخول غرفة نومك، ولا تنس أنك قصصت علينا من قبل أنك أخرجت جوزيف من نفس الغرفة حين حضرت مع الطبيب، وعندها تحولت شكوكي كلها إلى يقين، لا سيما وأن محاولة اقتحام الغرفة كانت في الليلة الأولى التي غابت فيها الممرضة، ويدل هذا على أن المتطفل كان على دراية تامة بما يجري في المنزل.

- كم كنت أعمى!

استطرد هولمز:

حقائق القصة كما فهمتها هي أن جوزيف هاريسون دخل إلى

المكتب عن طريق باب شارع تشارلز، ولأنه يعرف طريقه فقد اتجه رأساً إلى غرفتك بعد لحظة من مغادرتك لها، وعندما لم يجد أحداً هناك سارع برن الجرس، وفي اللحظة ذاتها وقعت عيناه على الورق الموجود على المكتب، حيث أظهرت له لمحة سريعة على الأوراق أن المصادفة قد وضعت في طريقه وثيقة رسمية ذات قيمة عظيمة، فوضعها في جيبه بسرعة وذهب، ثم انقضت دقائق قليلة-كما تذكر- قبل أن ينبهك البواب إلى الجرس، وكانت تلك الدقائق كافية ليهرب اللص. اتجه جوزيف إلى ووكنغ في أول قطار، وبعد أن فحص غنيمته وتأكد أنها ذات قيمة هائلة بالفعل قام بإخفائها في مكان اعتقد أنه مكان آمن جداً، وكان ينوي استرجاعها خلال يوم أو اثنتين ليحملها إلى السفارة الفرنسية أو إلى أي جهة يمكن أن تمنحه سعراً كبيراً. ولكن عودتك المفاجئة تسببت فى خروجه من غرفته دون سابق إنذار، ومنذ ذلك الوقت والغرفة مشغولة بك وبالممرضة مما منعه من استعادة كنزه، لا بد أن الموقف كان عصيباً بالنسبة له، وعندما وجد فرصته أخيراً حاول اقتناصها، ولكنك أربكته بيقظتك.

هل تذكر أنك لم تأخذ جرعتك المعتادة من الدواء المنوم في تلك الليلة؟

– أذكر.

– أعتقد أنه قد تدبر الأمر لجعل هذه الجرعة فعالة واعتمد تماماً على أنك ستكون فاقداً الوعي ليعيد الكرة، وقد فهمت أنه سيكرر محاولته بالطبع حينما تسنح له الفرصة الآمنة، وكانت مغادرتك الغرفة هي الفرصة التي أرادها، ولهذا أبقيت الآنسة هاريسون في الغرفة طوال اليوم لكي لا يسبقنا، وبعد ذلك أوحيت إليه بأن الطريق خال فيما بقيت أنا في الحراسة كما وصفت. وكنت أعرف أن الأوراق في الغرفة على الأغلب، ولكني لم أرغب بإتلاف خشب الأرضيات والجدران وأنا أبحث عنها فتركته يأخذها من المكان الذي أخفاها فيه، وهكذا وفرت على نفسي مشقة البحث الطويل. هل بقي أي سؤال يحتاج إلى جواب؟

سأل قائلاً:

لماذا حاول الدخول من النافذة في المرة الأولى في حين أنه كان يستطيع الدخول من الباب؟

– لكي يصل إلى الباب كان لابد أن يمر بسبع غرف نوم، ومن الناحية الأخرى كان يستطيع الخروج إلى المرج العشبي بسهولة. هل

من شيء آخر؟

سأل فيلبس:

ألا تعتقد أن السكين كان مجرد أداة لفتح النافذة وأنه لم ينو القتل؟

أجابه هولمز وهو يهز كتفيه:

ربما، كل ما أستطيع تأكيده هو أن السيد جوزيف هاريسون لا يمكن الوثوق به.

تمت

مغامرات شيرلوك هولمز

ذو الغُرَّة الفِضّية

تأليف

آرثر كونان دويل

لمأساوي لسائسه، ولذلك كان إعلانه المفاجئ عن نيته في الذهاب إلى مسرح الأحداث هو ما توقعته، بل وهو ما تمنيته.

قلت: يسعدني جداً الذهاب معك... هذا إذا كنت لن أعيقك.

- بل إنك ستؤدي لي خدمة عظيمة بذهابك معي يا عزيزي واطسون، كما أنني أعتقد أن وقتك لن يذهب سدى حيث إن بعض الأمور المتعلقة بهذه القضية تدل على كونها متميزة. لا أظن أن لدينا وقتاً لنضيعه إذا أردنا اللحاق بقطارنا في محطة بادنغتون، وسأتعمق أكثر في هذه القضية خلال رحلتنا، كما أرجو أن تتفضل بإحضار منظارك المكبر الرائع معك.

وهكذا وجدت نفسي- بعد ساعة أو نحوها- جالساً في زاوية من زوايا عربة الدرجة الأولى في القطار المنطلق في طريقه إلى إكستر، أما شيرلوك هولمز بوجهه الحاد المتلهف وقبعة سفره التي تغطي الأذنين فقد انغمس بسرعة في كومة من الصحف الجديدة التي حصل عليها من محطة بادنغتون، وكنا قد ابتعدنا عن ريدنغ بمسافة طويلة حين دفع بآخر صحيفة تحت مقعده.

نظر هولمز عبر النافذة ثم ألقى نظرة سريعة على ساعته وقال: نحن نسير بسرعة جيدة، فمعدلنا في الوقت الحاضر هو ثلاثة وخمسون ميلاً ونصف الميل في ا لساعة.

قلت: ولكنني لم ألحظ علامة ربع الميل!

– ولا أنا، ولكن أعمدة البرق على هذا الخط يبعد أحدها عن الآخر ستين ميلاً، وهكذا فالحسبة بسيطة. حسناً، أفترض أنك درست موضوع مقتل السائس جون ستراكر واختفاء الجواد (سلفر بليز) (ذي الغرة الفضية).

– إنها إحدى تلك القضايا التي يجب أن نستخدم فيها فن التحليل المنطقي لغربلة التفصيلات بدلاً من البحث عن أدلة جديدة؛ فالمأساة كبيرة وغريبة تماماً، بالإضافة إلى أهميتها الشخصية للعديد من الناس، ولهذا فنحن نعاني من كثرة التخمينات والشائعات والفرضيات. وهنا تكون الصعوبة في فصل الحقيقة، الحقيقة المطلقة التي لا يمكن إنكارها، عن كل الزخارف التي أضافها أصحاب النظريات والمراسلون، وحين نستقر على أساس ثابت يكون من واجبنا أن نقرر المهمة التي يدور اللغز كله حولها. لقد استلمت مساء الثلاثاء برقية من

الكولونيل روس مالك الحصان وأخرى من المفتش غريغوري الذي يبحث القضية، وكلاهما يطلب معاونتي.

صحت بدهشة: مساء الثلاثاء! ونحن الآن صباح الخميس. لماذا لم تذهب بالأمس؟

– كانت حماقة مني يا عزيزي واطسون، وأخشى أن هذا الأمر يحدث كثيراً خلافاً لما قد يظنه أي واحد لا يعرفونني فقط من خلال مذكراتك، فالحقيقة أنني لم أستطع أن أصدق إمكانية أن يظل الحصان الأكثر روعة في إنجلترا مختفياً لفترة طويلة، ولا سيما في مكان نادر المخان كشمال دارتمور! لقد توقعت أن أسمع بين ساعة وأخرى أنهم وجدوه بالأمس وأن مختطفه هو نفسه قاتل جون ستراكر، ولكن عندما جاء الصباح ووجدت أنهم لم يفعلوا شيئاً سوى القبض على الشاب فتزروي سبمسون شعرت بأن الوقت قد حان للعمل... وإن كنت –مع هذا– أحس أن يوم أمس لم يذهب هباء.

– هل توصلت إلى نظرية إذن؟

– لقد فهمت الحقائق الأشبه في القضية على الأقل، وسوف أقوم بسردها عليك، فلا شيء يوضح قضية ما أكثر من سردها على شخص آخر، كما أنني لن أستطيع توقع تعاونك إذا لم تكن تعرف من أين بدأنا.

استلقيت على المسند في حين قام هولمز- وقد مال إلى الأمام- بتوضيح النقاط الأساسية وإعطائي تصوراً للأحداث التي كانت وراء هذه الرحلة. قال:

الجواد (سلفر بليز) (أي: ذو الغرة الفضية) من سلالة السوموم وله سجل رائع كسلفه الشهير، وهو الآن في عامه الخامس، وقد حصل بالتناوب على كل جوائز السباق لصاحبه المحظوم الكولونيل روس، وكان حتى وقت وقوع الكارثة هو المرشح الأول لكأس ويسكس حيث كان الرهان لصالحه ثلاثة إلى واحد. على أية حال فقد كان دائماً هو المرشح الأول لجماهير السباق ولم يخيب أملهم حتى الآن، وبالرغم من المبالغ الضخمة المراهن بها عليه فمن الواضح أن الكثيرين من الناس لديهم دافع قوي لمنع سلفر بليز من الوصول إلى نهاية السباق يوم الثلاثاء القادم، ولأنهم مدركون تماماً لهذه الحقيقة في كنغزبايلند، حيث تقع حظائر الكولونيل لأحصنة السباق، فقد اتخذت كل الاحتياطات لحراسة الجواد.

لقد كان السائس جون ستراكر فارس سباقات متقاعداً، وقد عمل في فريق الكولونيل روس قبل أن يصبح وزنه أكثر من المسموح، وكان قد خدم الكولونيل لخمس سنوات فارساً وسبع سنوات سائساً، ودائماً ما كان يظهر كخادم متحمس وأمين يعمل تحت إشرافه ثلاثة

فتيان فقط، إذ كانت المنشأة صغيرة وتحتوي على أربعة أحصنة فقط، وكان أحد هؤلاء الفتيان يسهر طوال الليل في الحظيرة في حين ينام الآخران في العلية، ويتمتع الثلاثة بشخصيات ممتازة. أما جون ستراكر ولأنه رجل متزوج فيقيم في بيت صغير يبعد مئتي متر عن الحظيرة، وليس لديه أطفال وعنده خادمة واحدة والمكان موحش جداً، ولكن على بعد نحو نصف ميل شمالاً يوجد مجمع صغير من الدارات التي بناها مقاول شمالاً يوجد مجمع صغير من الدارات التي بناها مقاول من تافستوك لتكون مكاناً يقصده المرضى والذين يريدون الاستمتاع بجو دارتمور النقي.

تافستوك نفسها تقع على بعد ميلين إلى الغرب في حين تقع حظيرة خيل أخرى أكبر هي مابلتون على بعد ميلين عبر المستنقع، وهي حظيرة يملكها اللورد باكووتر ويديرها سايلاس براون، ومن جميع الجهات الأخرى يمتد مستنقع يحيط به قفر موحش يسكنه فقط بعض الغجر الرحالة.

كانت تلك هي الحالة العامة يوم الإثنين الماضي حين وقعت الكارثة. في ذلك المساء تم تمرين الخيول وسقيت كالعادة، ثم أغلق

الفتيان الحظائر في التاسعة حيث اتجه اثنان منهم إلى منزل السائس فتناولوا العشاء في المطبخ. أما الثالث، نيد هنتر، فقد بقى في الحراسة، وبعد التاسعة بعدة دقائق ذهبت الخادمة إلى الحظيرة حاملة له العشاء، وهو طبق من لحم الضأن بالكاري، ولم تأخد معها أي مشروبات حيث يوجد صنبور للمياه في الحظيرة، وهو الشيء الوحيد المسموح بشربه في أثناء الخدمة، وكان مع الخادمة مصباح حيث كان الظلام شديداً والطريق يمر عبر المستنقع الموحش.

كانت إيدث باكستر على بعد ثلاثين متراً من الحظائر حين خرج رجل من الظلام وناداها لتقف، وعندما اقترب من دائرة ضوء المصباح الأصفر رأت أن مظهره يدل على النبل حيث كان يرتدي بدلة رمادية اللون وقبعة من القماش وقد انتعل في قدميه حذاء ذا ساق عالية، وكان يحمل عصا ثقيلة لها مقبض. وقد تأثرت الخادمة تأثراً شديداً من شحوب وجهه وتوتره ورجحت أن يكون عمره فوق الثلاثين. سأل قائلاً: هل يمكنك إخباري أين أنا؟ لقد كنت على وشك النوم في المستنقع حين رأيت ضوء مصباحك.

قالت: أنت قريب من حظائر كنغزبايلند.

صاح قائلاً: حقاً؟ يا لها من ضربة حظ! أنا أعرف أن فتى الحظيرة

ينام هناك وحده كل ليلة، وربما كان هذا الذي تحملينه عشاءه، وأنا متأكد أن كبرياءك لن يمنعك من كسب ثمن ثوب جديد، أليس كذلك؟

ومن ثم أخرج قطعة ورق بيضاء مطوية من جيب صدريته ودفعها إليها قائلاً: تأكدي من أن يأخذ فتى الحظيرة هذه الورقة الليلة وستنالين أجمل ثوب يمكن للمال شراؤه.

أخافتها نبرة أسلوبه الجادة فجرت متجاوزة إياه لتصل إلى النافذة التي اعتادت تسليم وجبات الطعام منها، والتي كانت مفتوحة بالفعل. كان هنتر يجلس إلى الطاولة الصغيرة في الداخل، وحين بدأت تخبره بما حدث ظهر الغريب مرة أخرى. نظر الرجل عبر النافذة وقال: مساء الخير، لقد أردت التحدث إليك.

وقد أقسمت الفتاة أنها لاحظت طرف الورقة الصغيرة يظهر من يده المغلقة في أثناء كلامه.

سأله الفتى: ماذا تفعل هنا؟

قال الرجل: ما أفعله هنا قد يضع النقود في جيبك. عندك حصانان

مشتركان في كأس ويسكس: (سلفر بليز) و(بيارد)، وإذا قمت بإعطائي معلومة واضحة فلن تكون خاسراً. هل صحيح أن بيارد قد سبق الآخر في الأوزان وأن جميع من في الحظيرة يراهنون بأموالهم عليه؟

صاح الفتى: لابد أنك واحد من أولئك الذين يتجسسون على الحظائر إذن؟ سأريك ما نفعله بأمثالك في كنغزبايلند.

هب الفتى واقفاً وانطلق عبر الحظيرة ليطلق الكلب، أما الفتاة فقد هربت إلى المنزل، وبينما كانت تجري نظرت خلفها لترى الغريب يميل عبر النافذة، ولكنه كان قد اختفى عندما أخرج هنتر الكلب بعد دقيقة واحدة، وبالرغم من أنه جرى حول المباني كلها إلا أنه فشل في العثور على أي أثر له.

عند تلك النقطة سألت هولمز قائلاً: دقيقة واحدة؛ هل ترك صبي الحظيرة الباب مفتوحاً خلفه حين خرج يجري مع الكلب؟

قال رفيقي: ممتاز يا واطسون، لقد استوقفتني أهمية هذه النقطة بشدة حتى إنني أرسلت برقية خاصة إلى دارتمور أمس لأستوضح الأمر. لقد أغلق الفتى الباب قبل أن يغادر، أما النافذة فهي ليست واسعة بما فيه الكفاية لمرور رجل. لقد انتظر هنتر عودة زملائه حتى

يبعث برسالة إلى ستراكر يخبره فيها بما حدث، وقد انفعل ستراكر عند سماعه الموضوع. وبالرغم من أنه لم يدرك دلالته الحقيقية على ما يبدو إلا أنه شعر بعدم الراحة، فعندما استيقظت السيدة ستراكر في الساعة الواحدة صباحاً وجدته يرتدي ملابسه، وأخبرها حين سألته أنه لم يستطع النوم بسبب قلقه على الخيول وأنه ينوى الذهاب إلى الحظيرة ليطمئن إلى أن كل شيء على ما يرام، وقد توسلت إليه ليبقى في المنزل لأنها كانت تسمع دقات المطر على النافذة، ولكنه أخذ معطفه الواقي من المطر وخرج بالرغم من توسلاتها.

استيقظت السيدة ستراكر في السابعة صباحاً لتجد أن زوجها لم يعد بعد، فارتدت ملابسها على عجل ونادت الخادمة ليذهبا معاً إلى الحظائر، وهناك وجدتا الباب مفتوحاً، وفي الداخل كان هنتر مكوماً على الكرسي غارقاً في غيبوبة كاملة، في حين كان مربط الحصان المرشح للفوز خالياً ولا أثر لسائسه!

استيقظ الصبيان النائمان في مخزن التبن فوق الغرفة التي توجد فيها عدة الخيول، وبما أن كليهما كان نومه عميقاً فلم يسمعا شيئاً في أثناء الليل، وكان يبدو بوضوح أن هنتر واقع تحت تأثير مخدر قوي، ولأنهم

لم يستطيعوا فهم شيء منه فقد تركوه لينام حتى يزول تأثير المخدر في حين جرى الصبيان والمرأتان للبحث عن الغائبين، والأمل يراودهم في أن يكون السائس قد أخذ معه الحصان لتدريب مبكر لسبب ما، ولكنهم لم يجدوا أي أثر للحصان المفقود عند صعودهم الهضبة القريبة من المنزل، بل لاحظوا وجود شيء ما أنذرهم بأنهم أمام مأساة.

فعلى بعد ربع ميل من الحظائر كان معطف جون ستراكر يتدلى فوق كومة من الشجر الشائك، وخلف الشجر تماماً كان يوجد منحدر شديد في المستنقع، وفي الأسفل عثر على جثة السائس السيىء الحظ وقد تحطم رأسه نتيجة ضربة قاسية من سلاح ثقيل، كما جرح في فخذه جرح طويل نظيف أصيب به- على ما يبدو- بواسطة آلة حادة جداً. وكان من الواضح على أية حال أن ستراكر قد دافع عن نفسه بشدة ضد مهاجميه، حيث كان يحمل سكيناً صغيراً عليه دم متخثر حتى المقبض في حين قبض بيده اليمنى على ربطة عنق من الحرير الأحمر والأسود، وقد ميزتها الخادمة على أنها تلك التي كان يرتديها الغريب الذي زار الحظائر في الليلة السابقة.

وبعد تعاقبه من غيبوبته كان هنتر متأكداً تماماً من أن ذلك الغريب

كان يملك ربطة العنق تلك، كما كان متأكداً أيضاً من أن الغريب هو الذي دس المخدر في طبق لحم الضأن حينما كان واقفاً عند النافذة، وبذلك حرم الحظائر من حارسها. أما الحصان فقد أثبتت الأدلة أنه كان موجوداً في قاع الحفرة الطينية المشؤومة طوال مدة الصراع، ولكنه كان قد اختفى منذ ذلك الصباح، وبالرغم من رصد مكافأة كبيرة وإبلاغ كل الغجر في دارتمور لم ترد أي معلومات عنه. وقد أظهر التحليل أخيراً أن بقايا عشاء صبي الحظيرة تحتوي على كمية كبيرة من الأفيون المطحون، في حين اشترك الناس في المنزل في تلك الليلة في الطعام نفسه دون أي آثار سيئة.

هذه هي الحقائق الأساسية في القضية مجردة من كل التخمينات ومصوغة بكل صراحة ممكنة، وسوف ألخص الآن ما فعله رجال الشرطة في الموضوع.

المفتش غريغوري الذي أسندت إليه القضية ضابط كفء للغاية، ولو كان يمتلك موهبة الخيال لوصل إلى مستويات عالية في مهنته، فقد قام فور وصوله بالعثور على الرجل الذي وقعت عليه الشكوك وقام باعتقاله، وبما أنه كان يسكن إحدى الدارات التي ذكرتها من قبل فلم

يكن القبض عليه صعباً. أما اسمه فهو فتزروي سمبون، وهو رجل ذو نسب وتعليم ممتازين، وقد بدد ثروته في حلبة السباق ويعيش الآن على القيام بالقليل من المراهنات الهادئة الراقية في نوادي لندن الرياضية. وبفحص سجل مراهناته ظهر أن مراهنات بمبلغ خمسة آلاف جنيه قد سجلت بواسطته ضد الجواد المرشح، وعند القبض عليه تطوع بالتصريح بأنه قد جاء إلى دارتمور أملاً في الحصول على بعض المعلومات عن خيول كنغزبايلند، وأيضاً عن ديسبورو المرشح الثاني الذي هو تحت رعاية سايلاس براون في حظائر ما بلتون. ولم يحاول إنكار تصرفاته في الليلة السابقة، ولكنه صرح بأنه لم يكن لديه أي نوايا سيئة وأنه أراد فقط الحصول على معلومات سرية. وحين تمت مواجهته بربطة العنق شحب وجهه ولم يستطع تبرير وجودها في يد القتيل، وقد دلت ملابسه على خروجه في العاصفة في الليلة السابقة، كما أن عصاه يمكن أن تكون السلاح الذي تسبب في تلك الجروح الفظيعة التي تعرض لها السائس. ومن ناحية أخرى لم يكن سمبسون مصاباً بأية جروح، في حين تدل حالة سكين ستراكر على أن واحداً من مهاجميه على الأقل قد أصابه جرح بهذا السكين.

ها قد عرفت كل شيء يا واطسون، وسوف أكون ممتناً لك إذا

استطعت إعطائي أي توضيح.

استمعت بانتباه شديد إلى عرض هولمز للقضية مع توضيحه المميز، وبالرغم من كون معظم الحقائق مألوفاً لي إلا أنني لم أدرك أهميتها النسبية بما فيه الكفاية ولا ارتباطها بعضها ببعض.

اقترحت قائلاً: ألا يمكن أن يكون الجرح القاطع لدى ستراكر قد نشأ بواسطة سكينة بسبب التشنجات العنيفة التي عادة ما تتبع إصابات الدماغ؟

قال هولمز: هذا أكثر من ممكن، إنه مرجح، وفي هذه الحالة تختفي إحدى النقاط الرئيسية في مصلحة المتهم.

- وبالرغم من ذلك ما زلت لا أفهم نظرية الشرطة.

رد رفيقي قائلاً: أخشى أننا سنجد اعتراضات ذات شأن على أي من النظريات التي يمكن أن نتوصل إليها. الشرطة يتصورون- على ما أظن- أن فتزروي سمبسون قد خدر الصبي وحصل بطريقة ما على مفتاح مصطنع ليفتح باب الحظيرة ويأخذ الحصان وفي نيته اختطافه على ما يبدو، وبما أن لجامه مفقود فلا بد أنه وضعه عليه، وبعد أن ترك الباب مفتوحاً خلفه وبينما كان يقود الحصان بعيداً قاصداً المستنقع فلعله قد قابل ستراكر، وربما كان ستراكر قد هاجمه، ثم تلا ذلك بطبيعة

الحال عراك فضرب سمبسون ستراكر على رأسه بعصاه الثقيلة دون أن يصيبه أي جرح من السكين الصغير الذي استخدمه ستراكر للدفاع عن نفسه، وبعد ذلك إما أن السارق قاد الحصان إلى مكان سري لإخفائه أو أن الحصان قد جفل في أثناء الصراع وهو الآن يهيم في المستنقع. هذه هي القضية كما يراها رجال الشرطة، وبالرغم من كونها غير محتملة فكل التفسيرات الأخرى غير محتملة أيضاً. على كل حال سأقوم بدراسة الأمر فور وصولي إلى المكان، وحتى ذلك الوقت لن نستطيع معرفة أكثر من ذلك.

حل المساء قبل وصولنا إلى مدينة تافستوك التي تقع في وسط الدائرة الضخمة التي تمثل دارتمور مثل الحلية وسط ترس. كان في انتظارنا في المحطة رجلان أحدهما أشقر طويل ذو شعر كثيف على كل من رأسه ولحيته وله عينان ثاقبتان فضوليتان زرقاوان، والآخر شخص ضيئل يقظ متأنق مرتب جداً ويرتدي معطفاً ثميناً وحذاء ذا ساق عالية وله شارب قصير منمق ويضع نظارة طبية، وكان معهما الكولونيل روس الرياضي المعروف والمفتش غريغوري، وهو رجل بدأ يصنع لنفسه مكانة في مجتمع الشرطة السرية الإنجليزية.

بعد دقيقة كنا كلنا جالسين في عربة مريحة تسير بسرعة في شوارع

مدينة ديفونشاير القديمة الجذابة. كان المفتش غريغوري غارقاً في قضيته وأغدق علينا سيلاً من الملاحظات، أما هولمز فقد ألقى بعض الأسئلة العرضية والملاحظات الاعتراضية. ورجع الكولونيل روس إلى الخلف وقد عقد ذراعيه وقبعته تغطي عينيه، أما أنا فقد استمعت باهتمام إلى الحوار الدائر حيث كان غريغوري يصوغ نظريته التي كانت تشمل تقريباً كل ما قاله هولمز في القطار سابقاً.

أبدى غريغوري ملاحظة قائلاً: لقد ضاقت الشبكة حول فتزروي سمبسون، وأنا أعتقد أنه رجلنا المنشود، ولكن المشكلة أن الأدلة كلها ظرفية وأي تطورات جديدة يمكن أن تفسدها.

– وماذا عن سكين ستراكر؟

– استنتجنا أنه قد جرح نفسه حين سقط.

– لقد اقترح ذلك صديقي الدكتور واطسون ونحن في الطريق، وإذا كان هذا صحيحاً فهو ضد هذا الرجل سمبسون.

– بلا شك، فلم يكن لديه سكين ولا عليه أي أثر لجرح. الدليل ضده قوي جداً بكل تأكيد، فقد كان مستفيداً من اختفاء الجواد المرشح

ويحوم حوله الشك في تخدير فتى الحظيرة، كما أنه كان موجوداً في الخارج في أثناء العاصفة، وبلا شك فقد كان مسلحاً بعصا ثقيلة، وعثر على رباط عنقه في يد القتيل، وأظن أن كل ذلك كاف أمام المحلفين.

هز هولمز رأسه وقال: أي محام حاذق سيجعل من هذه الأدلة هباء منثوراً؛ فلماذا يأخذ الحصان خارج الحظيرة؟ لو أراد جرحه فلماذا لم يفعل ذلك في الداخل؟ هل وجد معه المفتاح المصطنع؟ من هو الكيميائي الذي باعه الأفيون المطحون؟ وفوق كل ذلك: أين يمكن له- وهو الغريب عن المنطقة- إخفاء حصان، ولا سيما حصان معروف مثل هذا؟ بالمناسبة، ما هو تفسيره للورقة التي طلب من الخادمة إعطاءها لصبي الحظيرة؟

- قال إنها ورقة من فئة عشرة جنيهات، وقد وجدنا واحدة في حقيبته. ولكن كل الصعوبات الأخرى التي ذكرتها ليست بالأهمية التي تبدو عليها، فهو ليس غريباً عن المنطقة إذ اقام مرتين في تافستوك صيفاً، ومن المحتمل أنه أحضر الأفيون معه من لندن، أما المفتاح فقد رماه بعد أن أدى الغرض منه، والحصان يمكن أن يكون في قاع أي حفرة أو منجم قديم في المستنقع.

– وماذا يقول عن ربطة العنق؟

– ويعترف بأنها له ويعلن أنه قد فقدها، ولكن عنصراً جديداً ظهر في القضية قد يفسر سبب قيادته للحصان خارج الحظيرة.

انتبهت حواس هولمز في حين أكمل الرجل: لقد وجدنا آثاراً تظهر أن مجموعة من الغجر قد عسكروا ليلة الإثنين على بعد ميل من موقع حادثة القتل، وبحلول الثلاثاء كانوا قد رحلوا. والآن بافتراض أنه كان بين سمبسون وهؤلاء الغجر اتفاق، أليس من الممكن أنه كان يسوق الحصان إليهم حينما هوجم؟ ألا يمكن أن يكون عندهم الآن؟

– يمكن بالطبع.

– نحن نقوم الآن بتفتيش سريع للمستنقع بحثاً عن هؤلاء الغجر، وقد قمت أيضاً بفحص كل حظيرة في تافستوك وما حولها في دائرة نصف قطرها عشرة أميال.

– لقد فهمت أن حظيرة أحصنة أخرى تقع قريباً من هنا.

– أجل، وهذا عنصر يجب علينا أن لا نهمله بالتأكيد، حيث إن حصانهم (ديسبورو) هو المرشح الثاني في الرهان، ولذلك فإن لهم

مصلحة في اختفاء المرشح الأول. وقد عرف عن سائسهم سايلاس براون أنه يراهن بأموال ضخمة في هذه المسابقة، كما أنه لم يكن صديقاً للمسكين ستراكر، وإن كنا قد فتشنا الحظائر ولم نجد شيئاً يربطه بالموضوع.

– ألم تجد شيئاً يربط هذا الرجل سمبسون بمصالح حظائر مابلتون؟

– لا شيء على الإطلاق.

استند هولمز إلى الخلف في العربة وتوقفت المحادثة. وبعد عدة دقائق توقف السائق عند دارة (فيلا) أنيقة صغيرة من الحجر الأحمر تقع بجانب الطريق، وعلى مسافة منها في الناحية الأخرى من المضمار رأينا مبنى رمادياً طويلاً، أما كل الاتجاهات الأخرى فكانت تظهر منحنيات المستنقع مكسوة باللون البرونزي من نبات السرخس وتمتد أمامنا حتى تتصل بخط الأفق، لا تتخللها سوى كنيسة تافستوك ومجموعة من المنازل في الناحية الغربية حيث تقع حظائر مابلتون.

خرجنا جميعا متوقعين أن تبعنا هولمز الذي تابع اضطجاعه إلى الخلف وعيناه مثبتتان على السماء أمامه وهو مستغرق تماماً في أفكاره، وعندما لمست كتفه انتفض من المفاجأة ثم خرج من العربة!

التفت هولمز ناحية الكولونيل روس الذي كان ينظر إليه ببعض الدهشة وقال: اعذروني؛ كنت أحلم أحلام اليقظة.

وكان في عينيه بريق وفي تصرفاته انفعال مكبوت، مما أقنعني -لأنني معتاد على أسلوبه- بأنه قد وضع يده على دليل، بالرغم من أنني لم أستطع أن أتخيل من أين حصل عليه!

قال غريغوري: لعلك تفضل الذهاب إلى مسرح الجريمة يا سيد هولمز؟

- بل أفضل البقاء هنا قليلاً لأراجع سؤالاً أو أكثر عن التفصيلات. لقد أحضرتم ستراكر إلى هنا كما أفترض، أليس كذلك؟

- بلى، إنه يرقد في الطبقة العليا، وسيبدأ التحقيق غداً.

- لقد كان في خدمتك لسنوات عدة يا كولونيل روس، أليس كذلك؟

- لقد وجدته خادماً ممتازاً على الدوام.

- أحسب أنك قمت بجرد ما كان في جيوبه وقت الوفاة أيها المفتش، أليس كذلك؟

- بل ومعي الأشياء التي وجدناها في غرفة الجلوس إذا رغبت في رؤيتها.

– سأكون سعيداً بذلك جداً.

دخلنا جميعاً إلى الغرفة الأمامية وجلسنا حول الطاولة الرئيسية، ثم فتح المفتش صندوقاً معدنياً مربعاً صغير الحجم وأفرغ أمامنا كومة صغيرة. كان في الكومة علبة كبريت، وقليل من شمع الشحم، وغليون خشبي، ومحفظة من جلد الفقمة فيها نصف مقدار من التبغ المضغوط، وساعة فضية مع سلسلة ذهبية، وخمسة جنيهات إنجليزية ذهبية، وعلبة قلم رصاص من الألمونيوم، وبعض الورق، وسكين ذو مقبض عاجي، ونصل حاد دقيق عليه علامة (ويلز وشركاه، لندن).

رفع هولمز السكين وفحصه لعدة دقائق ثم قال: إنه سكين رائع! وأحسب أنه نفس السكين الذي وجد في قبضة القتيل حيث إن عليه بقعاً من الدم. لا بد أن يكون هذا السكين في مجال تخصصك يا واطسون؟

قلت: إنه يستخدم في جراحات العين.

– هذا ما ظننته. إنه نصل دقيق جداً مصمم لوظيفة دقيقة جداً، وإنه لأمر غريب أن يحمله رجل في مثل هذه الحالة، لا سيما وأنه لن يطوى في جيبه.

قال المفتش: كان الطرف محمياً بقطعة مدورة من الفلين وجدناها بجوار الجثة، وقد أخبرتنا زوجته أن السكين كان على طاولة الزينة وأنه التقطه عندما غادر الغرفة. إنه سلاح ضعيف، ولكن ربما كان أفضل ما استطاع الوصول إليه في تلك اللحظة.

– ممكن جداً. وماذا عن هذه الأوراق؟

– ثلاث منها إيصالات استلام خاصة بحساب تجار التبن، وواحدة فيها تعليمات من الكولونيل روس، وهذه الورقة الأخيرة هي كشف حساب باسم ويليم ديربشاير صادر من محل مدام ليسوريه للقبعات في شارع بوند، وهو بمبلغ سبعة وثلاثين جنيهاً وخمسة عشر شلناً. وقد قالت السيدة ستراكر إن السيد ويليم دير بشاير صديق لزوجها وإنه يستلم خطاباته عن طريق زوجها في بعض الأحيان.

قال هولمز وهو ينظر إلى الحساب: إن للسيدة ديربشاير ذوقاً مكلفاً جداً، فهذا المبلغ كبير بالنسبة إلى ثوب واحد! على كل حال يبدو أنه لم يعد أمامنا شيء لنعرفه وبوسعنا الآن الذهاب إلى مكان الحادث.

وبينما كنا نخرج من غرفة الجلوس إذا بامرأة كانت تنتظر في الممر

تخطو خطوة إلى الأمام وتضع يدها على ذراع المفتش! كان وجهها منهكاً نحيلاً قلقاً، وكان مطبوعاً عليه الرعب مما حدث.

شهقت قائلة: هل حصلتم عليه؟ هل وجدتموه؟

قال المفتش: لا يا سيدة ستراكر، ولكن السيد هولمز جاء من لندن لمساعدتنا، وسوف نعمل كل ما يمكن عمله.

قال هولمز: أعتقد أنني قد قابلتك في بلايموث في حفلة من الحفلات منذ وقت غير طويل يا سيدة ستراكر.

- لا يا سيدي، أنت مخطئ.

- يا إلهي، كدت أقسم على ذلك! لقد كنت ترتدين ثوباً من الحرير الأبيض مزيناً بريش النعام.

أجابت السيدة: لم يكن عندي قط مثل هذا الثوب يا سيدي.

قال هولمز: حسناً، هذا ينهي الموضوع تماماً.

بعد ذلك قدم اعتذاره وتبع المفتش إلى الخارج، وبعد أن مشينا مسافة قصيرة في المستنقع وصلنا إلى المنحدر، وعلى حافته كانت أكمة الشجر التي علق بها المعطف.

قال هولمز: لم يكن في تلك الليلة رياح كما فهمت.

– نعم، ولكن كان فيها مطر شديد.

– في هذه الحالة فالمعطف لم يكن ليطير ليحط على الأكمة، وإنما هو قد وضع هناك.

– أجل، لقد وضع على الأكمة.

– هذا مثير للاهتمام. أرى الكثير من آثار الأقدام، ولا شك أن العديد من الأقدام جاءت إلى هنا منذ ليلة الإثنين.

– لقد وضعنا قطعة من الحصير على الجانب ووقفنا جميعاً عليها.

– ممتاز.

– عندي في هذه الحقيبة فردة الحذاء الذي كان يرتديه ستراكر وأخرى كان يرتديها فيترزوي وقالب لحدوة سلفر بليز.

– عزيزي المفتش، أنت تتفوق على نفسك!

أخذ هولمز الحقيبة ونزل إلى المنحدر حيث دفع بالحصيرة إلى مكان أكثر مركزية، وبعد ذلك تمدد على وجهه مستنداً بذقنه على يديه وقام بدراسة متأنية لمكان آثار الأقدام أمامه في الطين، ثم صاح فجأة: ما هذا؟!

كان هناك عود كبريت من الشمع نصفه محترق، وكان مغلفاً بالطين لدرجة أنه بدا في البداية كقطعة من الخشب.

قال المفتش وتعبيراته تدل على الضيق: لا أعرف كيف لم أجده!

– لقد كان مخفياً مدفوناً في الطين، وقد رأيته فقط لأنني كنت أبحث عنه.

– ماذا؟! أكنت تتوقع أن تجده؟

– تصورت أن ذلك غير مستبعد.

أخذ هولمز الأحذية من الحقيبة وقارن أثر كل منها بالآثار الموجودة على الأرض، ثم تسلق إلى حافة المنحدر وزحف مفتشاً بين السرخس والأجمة، فقال المفتش: أخشى أنه لا توجد أي آثار أخرى؛ لقد تفحصت الأرض بعناية لمسافة مئة متر في كل اتجاه.

قال هولمز وهو يقف: حقاً؟ يجب إذن أن لا أتصرف بوقاحة وأبحث ثانية بعد الذي قلته، ولكنني أفضل أن أتمشى قليلاً في أنحاء المستنقع قبل أن يهبط الظلام حتى أعرف طريقي غداً، وأظن أنني سأحتفظ بحدوة الحصان لتجلب لي الحظ.

ألقى الكولونيل روس الذي كان يظهر بعض الضيق من أسلوب رفيقي الهادئ المنظم في العمل، ألقى نظرة سريعة على ساعته وقال: أرجو أن تأتي معي أيها المفتش، فلدي عدة نقاط أرغب في أن آخذ نصيحتك بشأنها، ولا سيما فيما إذا كنا ندين للجماهير بحذف اسم حصاننا من قائمة دخول السباق.

صاح هولمز بحزم قائلاً: بالطبع لا، أنا أرى أن تترك الاسم في القائمة.

انحنى الكولونيل باحترام وقال: يسعدني جداً معرفة رأيك يا سيدي، وسوف تجدنا في منزل المسكين ستراكر عندما تنهي جولتك، وعندها يمكن أن نذهب معاً إلى تافستوك.

قال هذا واستدار راحلاً ومعه المفتش، فيما سرت أنا وهولمز باتجاه المستنقع.

كانت الشمس قد بدأت بالغروب خلف حظائر مابلتون والسهل الطويل المنحدر أمامنا يتلون بلون ذهبي يتحول إلى لون بني ضارب إلى الحمرة عندما ينعكس ضوء الأصيل على نباتات السرخس والعليق، ولكن سحر المكان كان بلا فائدة مع صاحبي الذي غرق في أفكاره.

قال في النهاية: إنه هذا الطريق يا واطسون، ربما علينا أن نترك التساؤلات حول من قتل ستراكر الآن ونحصر أنفسنا في اكتشاف ما حدث للحصان. والآن إذا افترضنا أنه قد أفلت قبل المأساة أو بعدها فأين يمكن أن يذهب؟ الحصان مخلوق اجتماعي، فإذا ترك لغريزته فهو إما أن يعود إلى كنغزبايلند أو يذهب إلى مابلتون، فلماذا ينطلق إلى المستنقع؟ كان من المؤكد أن يراه شخص ما بعد كل هذا الوقت. ثم لماذا يخطفه الغجر؟ هؤلاء الناس يبتعدون دائماً حين يسمعون بوقوع مشكلات لأنهم لا يريدون أي إزعاج من الشرطة، ولا يمكن أن يكون عندهم أمل ببيع مثل هذا الحصان، فمن الواضح أنهم بأخذهم الحصان سيخاطرون مخاطرة كبيرة بلا فائدة.

– أين هو إذن؟

– لقد قلت من قبل إنه ربما ذهب إلى كنغزبايلند أو إلى مابلتون، وبما أنه ليس في كنغزبايلند فهو في مابلتون إذن. لنأخذ هذا الكلام كفرضية ممكنة ولنفكر إلى أين ستقودنا. حسناً، هذا الجزء من المستنقع صلب للغاية وجاف كما أشار المفتش، ولكنه ينحدر باتجاه مابلتون، ويمكن أن ترى من هنا أن هناك وادياً بعيداً لابد وأنه كان طينياً جداً يوم الإثنين الماضي، فإذا كان افتراضنا صحيحاً فلا بد أن يكون

الحصان قد عبر ذلك الوادي هناك في تلك النقطة التي يجب أن نبحث فيها عن آثاره.

كنا نسير ببطء خلال هذه المحادثة، وبعد عدة دقائق وصلنا إلى الوادي الذي أشار إليه، وبناء على طلب هولمز فقد مشيت على الجانب الأيمن ومشى هو على الجانب الأيسر، ولم أكن قد تجاوزت خمسين خطوة حين سمعته يصرخ ويلوح لي بيديه. كانت آثار الحصان محددة بوضوح على الأرض الطرية أمامه، والحدوة التي في جيبه طابقت الأثر تماماً!

قال هولمز: أرايت قيمة الخيال؟ إنها الصفة الوحيدة التي يفتقدها غريغوري، فقد تخيلنا ما يمكن أن يكون قد حدث، وبالتحقق من هذا الافتراض وجدنا أننا على حق. والآن لنتابع.

وبالفعل عبرنا المستنقع ومشينا فوق ربع ميل من التربة الجافة الصلبة، ثم انحدرت الأرض ثانية، وعندها وجدنا الآثار ثم فقدناها لنصف ميل لنكتشفها مرة أخرى بالقرب من مابلتون، وكان هولمز هو أول من رآها فوقف يشير وعلى وجهه نظرة انتصار، إذ كانت هناك آثار أقدام لإنسان بجانب آثار الحصان.

صحت قائلاً: لقد كان الحصان وحده من قبل!

– هذا صحيح تماماً، كان وحده قبل ذلك.... يا للعجب! ما هذا؟

دارت الآثار المزدوجة دورة حادة واتخذت اتجاه كنغزبايلند، فصفر هولمز، وتتبعنا الأثر وعينا هولمز عليه، وتصادف أنني كنت أنظر قليلاً إلى أحد الجوانب فرأيت ما أدهشني، فالآثار نفسها تعود في الاتجاه المعاكس.

قال هولمز عندما وضحت ذلك: لقد كسبت واحدة يا واطسون، فقد وفرت علينا مسافة كبيرة كنا سنمشيها ونعود ثانية إلى المكان نفسه. دعنا نتبع الأثر العائد.

لم يكن علينا الذهاب بعيداً، إذ انتهى الأثر عند بداية طريق ممهد يؤدي إلى بوابات حظائر مابلتون، وعند اقترابنا خرج سائس من البوابة وقال: لا نريد أي متطفلين هنا.

قال هولمز واضعاً إصبعه وسبابته في جيب صدريته: أريد فقط أن أسأل سؤالاً. هل أكون مبكراً جداً إذا أتيت لرؤية سيدك، السيد سايلاس براون، في الخامسة من صباح الغد؟

– بوركت يا سيدي، إذا كان أحد يستيقظ في هذه الساعة فسيكون هو. إنه أول المستيقظين دائماً لحظة، ها هو ليجيب على سؤالك بنفسه.

وحين رأى هولمز يهم بإعطائه نقوداً قال: لا يا سيدي، لا؛ إذا رآني ألمس نقودك فسيكلفني هذا عملي. فيما بعد إذا أردت.

وبينما كان هولمز يعيد المال إلى جيبه خرج رجل عنيف كبير في السن وفي يده عصا وصاح قائلاً: ما هذا يا داوسن؟ دع القيل والقال واذهب لعملك.

ثم التفت إلى هولمز وقال: وأنت؟ ماذا تريد؟

قال هولمز بأعذب الأصوات: عشر دقائق لأتكلم معك يا سيدي العزيز.

– ليس لدي الوقت لأتكلم مع كل من هب ودب. لا نريد غرباء هنا، اذهب وإلا أطلقت الكلب في أثرك.

مال هولمز إلى الأمام وهمس بشيء في أذن الرجل، فاهتز بعنف واحتقن وجهه حتى جبهته وصاح قائلاً: إنها كذبة... كذبة شيطانية!

– فليكن، هل سنتجادل حولها هنا في العلن أم في صالة استقبالك؟

– حسناً، ادخل إذا أردت.

ابتسم هولمز وقال: لن أتركك أكثر من بضع دقائق يا واطسون. والآن يا سيد براون أنا تحت تصرفك.

مرت عشرون دقيقة وبدأ الظلام يلف المكان قبل أن يظهر هولمز

والسيد سايلاس براون ثانية. لم يحدث قط أن رأيت تغيراً كالذي حدث للسيد براون في ذلك الوقت القصير؛ كان وجهه شاحباً جداً وحبات العرق تلمع على حاجبيه، وكانت يده تهتز لدرجة أن سوط الصيد طار من يده كغصن في مهب الريح، كما أن أسلوبه المتغطرس والمتهجم قد اختفى أيضاً، فقد مشى منحنياً بجوار رفيقي ككلب يمشي مع سيده!

قال: سوف تنفذ تعليماتك، ستنفذ كلها.

التفت هولمز إليه وقال: يجب أن لا يقع أي خطأ.

جفل الرجل حين قرأ التهديد في عينيه وقال: نعم، لن يقع أي خطأ، سأكون هناك. هل أغيره أولا؟

فكر هولمز قليلاً ثم انفجر ضاحكاً وقال: لا، لا تفعل، سأكتب لك عنه، لا مجال للخداع الآن وإلا...

- يمكنك أن تثق بي، يمكنك أن تثق بي.

- أجل، أظن أنني سأفعل. حسناً، ستصلك أخبار مني غداً.

استدار على عقبيه متجاهلاً اليد المرتعشة التي مدها الرجل الآخر عليه وانطلقنا إلى كنغزبايلند.

قال هولمز فيما كنا نسير متثاقلين: لم أقابل تركيبة كاملة من الشراسة والجبن واللؤم كالسيد سايلاس براون إلا نادراً!

- الحصان بحوزته إذن؟

- حاول أن يتملص من الموضوع بالتهديد، ولكني وصفت له أفعاله ذلك الصباح بدقة حتى اقتنع بأنني كنت أراقبه. لقد لاحظت بالطبع الشكل الغريب لمقدمة الحذاء في الأثر وأن حذاءه قد تطابق معه بالضبط. وقد وصفت كيف أنه وطبقاً لعادته كان الأول في النزول حينما لاحظ حصاناً غريباً يتجول في المستنقع بلا هدف، وكيف أنه ذهب إليه ودهش حين أدرك في الغرة البيضاء في جبينه (والتي كانت سبباً لاسمه) أن المصادفة قد وضعت في قبضته الحصان الوحيد الذي يمكنه هزيمة الحصان الذي راهن عليه، وعند ذلك وصفت له كيف أن ردة فعله الأولى كانت أن يعيده إلى كنغزبايلند، وكيف أن الشيطان أظهر له أن بإمكانه أن يخفي الحصان حتى ينتهي السباق، ومن ثَمَّ عاد به ليخفيه في مابلتون، وحين أخبرته بكل التفصيلات استسلم وفكر فقط في إنقاذ نفسه.

- ولكن حظائره فتشت!

– حسناً، إن سائساً متمرساً مثله لن يعدم الحيلة.

– ولكن ألا تخشى أن تترك الحصان في قبضته الآن حيث إن لديه دافعاً كبيراً لإيذائه؟

– يا صديقي العزيز، سوف يحرسه كبؤبؤ عينيه؛ فهو يعرف أن أمله الوحيد في الرحمة يكمن في إعادته سليماً.

– لم يبد لي أن الكولونيل روس من الأشخاص الذين من المحتمل أن يظهروا الرحمة في أي حال من الأحوال.

– لا يتوقف هذا الأمر على الكولونيل روس حين أتبع طرقي الخاصة، فأنا من يختار أن يخبره كثيراً أو قليلاً، وهذا من مميزات كوني غير مكلف رسمياً. لا أعرف إن كنت قد لاحظت يا واطسون أن تصرفات الكولونيل نحوي يشوبها القليل من العجرفة، لذلك فمن حقي الآن أن أحصل على بعض التسلية على حسابه. لا تقل له شيئاً عن الحصان.

– وبالتأكيد لن أفعل دون إذنك.

– وبالطبع هذا كله لا يكاد يكون شيئاً مقارنة بمعرفة قاتل جون ستراكر.

- وستكرس نفسك لهذا الأمر؟

- وبالعكس، سنعود إلى لندن بقطار الليل.

صعقت بكلمات صديقي، إذ لم يمض على وجودنا في ديفونشاير إلا ساعات قلائل، وكونه سيتخلى عن تحقيق بدأه ببراعة كان أمراً غير مفهوم لي!

لم أستطع انتزاع أي كلمة أخرى منه حتى عدنا إلى منزل السائس، وكان الكولونيل والمفتش في انتظارنا في صالة الاستقبال فقال هولمز: سأرجع أنا وصديقي إلى المدينة في قطار الليل السريع؛ لقد تمتعنا بهواء دارتمور الجميل.

فتح المفتش عينيه دهشة في حين لوى الكولونيل شفتيه بسخرية وقال: إذن فقد يئست من القبض على قاتل المسكين ستراكر.

هز هولمز كتفيه وقال: توجد بعض الصعوبات في الطريق بالتأكيد، ولكن الأمل يحدوني على أية حال بأن حصانك سيبدأ السباق يوم الثلاثاء، وأرجو أن يكون فارسك جاهزاً. هل يمكن أن أطلب صورة للسيد جون ستراكر؟

أخذ المفتش صورة من ظرف وسلمها له فقال هولمز: أنت تتوقع

كل طلباتي يا عزيزي غريغوري! أرجو أن تنتظروني هنا لحظة؛ عندي سؤال للخادمة.

قال الكولونيل بفظاظة بعدما غادر صديقي الغرفة: يجب أن أقول إنني أشعر بقليل من خيبة الأمل في مستشارنا اللندني؛ لا أجد أننا قد وصلنا إلى شيء أكثر مما كنا عليه عندما وصل.

قلت: على الأقل لقد حصلت على تأكيده بأن حصانك سيسابق.

قال الكولونيل وهو يهز كتفيه: أجل، حصلت على تأكيده، وإن كنت أفضل الحصول على الحصان.

كنت على وشك الرد دفاعاً عن صديقي حين دخل الحجرة ثانية وقال: الآن يا سادة أنا جاهز تماماً للذهاب إلى تافستوك.

عندما دخلنا إلى العربة كان واحد من صبية الحظيرة يفتح الباب لنا، ويبدو أن فكرة مفاجئة خطرت لهولمز لأنه مال إلى الأمام ولمس كم الفتى ثم قال: عندكم قليل من الخراف في المضمار، من الذي يعتني بها؟

– أنا أفعل يا سيدي.

– هل لاحظت عليها شيئاً غريباً مؤخراً؟

– حسناً يا سيدي، إنه أمر غير ذي أهمية كبيرة، لقد أصيب ثلاثة منها بالعرج يا سيدي.

لاحظت أن هولمز مسرور جداً، فقد قهقه وفرك يديه ثم قال وهو يضغط على يدي: إنه تخمين موفق يا واطسون، تخمين موفق جداً.

ثم التفت إلى المفتش وقال: غريغوري، هل لي أن ألفت انتباهك إلى هذا الوباء الغريب بين الخراف؟ انطلق أيها الحوذي.

كان الكولونيل لا يزال يحمل ذلك التعبير الذي يدل على رأيه السيئ في مقدرة رفيقي، ولكنني رأيت الاهتمام الشديد على وجه المفتش الذي سأل: هل تعتبر ذلك مهما؟

– إلى أبعد الحدود.

– هل توجد أي نقطة تود أن تلفت انتباهي لها؟

– حادثة الكلب المثيرة للفضول ليلة الحادث.

– الكلب لم يفعل شيئاً ليلة الحادث.

علق شيرلوك هولمز قائلاً: وهذا هو الشيء المثير للفضول.

بعد أربعة أيام كنت أنا وهولمز في القطار مرة ثانية متجهين إلى

وينشستر لنرى سباق كأس ويسكس، وقد قابلنا الكولونيل روس حسب الميعاد خارج المحطة حيث ذهبنا في عربة تجرها الأحصنة إلى المضمار خلف المدينة: كان وجهه كئيباً وتصرفاته باردة إلى أقصى حد حين قال: لم أر حصاني بعد.

سأل هولمز: أظن أنك سوف تعرفه عند رؤيته؟

غضب الكولونيل جداً وقال: لقد شاركت في السباق لمدة عشرين عاماً ولم يسألني أحد مثل هذا السؤال من قبل، فالطفل الصغير قد يعرف سلفر بليز بجبهته البيضاء وقائمتيه الأماميتين المبرقشتين.

- كيف هي المراهنة؟

- حسناً، هذا هو الجزء المثير للفضول في الموضوع. كنت تستطيع الحصول على خمسة عشر صوتاً مقابل صوت واحد بالأمس، ولكن النسبة استمرت في التقلص حتى أصبحت الآن بالكاد ثلاثة إلى واحد.

قال هولمز: آه، من الواضح أن شخصاً ما يعرف شيئاً.

عندما توقفت العربة في الحظيرة المسيجة القريبة من المدرج الكبير نظرت إلى اللوحة لأرى الجياد المشاركة، وقال الكولونيل: لقد شطبنا

اسم حصاننا الآخر ووضعنا أملنا كله على وعدك. يا للدهشة! ما هذا؟! سلفر بليز هو المرشح؟

دوى الصوت في حلبة السباق يقول: خمسة إلى أربعة شد سلفر بليز، خمسة إلى خمسة عشر ضد ديسبورو، خمسة إلى أربعة على المضمار.

صحت قائلاً: إن كل الستة هناك.

صاح الكولونيل روس بانفعال كبير: كل الستة هناك؟ حصاني سيشارك إذن! ولكنني لا أراه وأعلامي لم تمر!

– لقد مر خمسة فقط، لابد أن يكون هو هذا.

وفيما أنا أتكلم انطلق حصان قوي كستنائي اللون من حظيرة الوزن وأخذ يخب أمامنا وهو يحمل على ظهره أعلام الكولونيل المعروفة بالأحمر والأسود، فصاح صاحبه قائلاً: هذا ليس حصاني، هذا الوحش لا يحمل أي شعرة بيضاء في جسده! ما الذي فعلته يا سيد هولمز؟

قال صديقي برباطة جأش: حسناً، حسناً لنر كيف سيتقدم.

وأخذ ينظر عبر منظاري المكبر لعدة دقائق ثم قال: عظيم؛ بداية ممتازة.

ثم صاح قائلاً: ها هم يجتازون المنحنى.

كنا نحظي برؤية ممتازة من العربة حيث كانوا قادمين في خط مستقيم. كانت الخيول الستة قريبة جداً بعضها من بعض، وفي منتصف الطريق ظهر الحصان التابع لحظائر مابلتون في المقدمة، ولكن قبل أن تصل إلينا على أية حال قل جهد ديسبورو في حين تقدم حصان الكولونيل فجأة وعبر نقطة النهاية متقدماً على منافسه بست مسافات، في حين حل إيريس حصان الدوق بالمورال في المركز الثالث بشكل سيئ.

تنهد الكولونيل وهو يمرر يده على عينيه ويقول: لقد فزت بالسباق على أية حال. أعترف بأنني لا أفهم شيئاً من هذا... ألا تعتقد أنك احتفظت بهذا الغموض بما فيه الكفاية يا سيد هولمز؟

– وبالتأكيد يا كولونيل يتفهم كل شيء. دعنا نذهب ونلق معاً نظرة على الحصان.

أكمل قائلاً فيما كنا نتجه إلى حظيرة الوزن التي لا يسمح بدخولها إلا لأصحاب الخيول وأصدقائهم فقط: ها هو، عليك فقط أن تغسل وجهه وقوائمه ببعض الكحول وسيعود سلفر بليز كما كان.

– كما تدهشني يا سيد هولمز!

– لقد أعطيت لنفسي الحرية لإشراكه في السباق كما جاء.

– سيدي العزيز، لقد قمت بمعجزة! الحصان يبدو بحالة جيدة ولياقته عالية، إنه في أحسن حالاته، وأنا أدين لك بألف اعتذار لشكي بقدراتك. لقد أديت لي خدمة عظيمة باستعادتك حصاني، وسوف تكون الخدمة أعظم إذا استطعت وضع يديك على قاتل جون ستراكر.

قال هولمز بهدوء: لقد فعلت ذلك.

حملقنا كلانا إليه بدهشة، وسألته أنا: وجدته؟! أين هو إذن؟!

– إنا هنا.

– هنا؟ أين؟

– إنه بصحبتي في الوقت الحاضر.

احتقن الكولونيل غضباً وقال: أنا مدرك تماماً أنني مدين لك يا سيد هولمز، ولكني أعتبر أن ما قلته للتو مزاح ثقيل جداً أو أنه إهانة لا تغتفر.

ضحك شيرلوك هولمز وقال: أؤكد لك يا سيدي الكولونيل أنني لم أربط بينك وبين الجريمة، فالقاتل الحقيقي يقف خلفك في هذه اللحظة.

صحت أنا والكولونيل معاً: الحصان؟!

– نعم، الحصان، وقد يخفف من ذنبه أن أقول لكم إنه كان دفاعاً

عن النفس وإن جون ستراكر كان رجلاً غير جدير بثقتك، ولكنني أسمع الجرس الآن وأتوقع أن أكسب القليل من السباق القادم، ولذلك سأقوم بتأجيل الشرح المطول إلى وقت مناسب أكثر.

انفردنا بزاوية في إحدى عربات القطار الخاصة في ذلك المساء فيما كنا عائدين إلى لندن، وأظن أن الرحلة بدت قصيرة لي وللكولونيل فيما كنا نستمع إلى سرد رفيقنا للأحداث التي جرت في حظائر دارتمور ليلة الإثنين وعن كيفية كشفه لها.

قال: أعترف بأن النظريات التي كونتها من تقارير الصحف كانت خاطئة كلياً، وبالرغم من ذلك فقد كان فيها بعض الدلالات لولا أن تفصيلات أخرى طغت عليها وأخفت أهميتها، ولذلك فعندما ذهبت إلى ديفونشاير كنت مقتنعاً بأن فتزروي سمسون هو المتهم الحقيقي بالرغم من أني رأيت أن الدليل ضده كان غير مكتمل بأي حال. كان ذلك حين كنت في العربة في الوقت الذي كنت قد وصلنا فيه إلى منزل السائس، حيث خطرت لي أهمية لحم الضأن بالكاري، ولعلكم تتذكرون أنني كنت شارد الذهن وبقيت في العربة بعد أن نزلتم كلكم، فقد كنت أتعجب في عقلي كيف أنني أغفلت هذا الدليل الواضح.

قال الكولونيل: أعترف بأني حتى الآن لا أستطيع معرفة كيف سيساعدنا هذا.

قال هولمز: تلك كانت الحلقة الأولى في سلسلة التحليل المنطقي؛ فالأفيون المطحون ليس عديم الطعم، إن طعمه مقبول ولكنه ملحوظ، فمن يأكله سيكتشفه وقد يتوقف عن الأكل، ولذلك كان الكاري هو الوسيلة الوحيدة التي ستخفي طعمه، ولا يوجد أي افتراض معقول يمكن هذا الغريب من أن يقدم الكاري في بيت السائس في تلك الليلة، وسوف تكون مصادفة عظيمة أن نفترض أنه جاء ومعه الأفيون المطحون وتصادف في تلك الليلة بالذات أن قدم الصنف الذي سيخفي طعمه. هذا غير منطقي، ولهذا يصبح سمبسون مستبعداً من القضية ويرتكز اهتمامنا على ستراكر وزوجته، وهما الشخصان الوحيدان اللذان كان بإمكانهما اختيار لحم الضأن بالكاري للعشاء في تلك الليلة، وقد أضيف الأفيون بعد أن تم وضع الطعام لصبي الحظيرة، إذ تناول الآخرون الطعام نفسه ولم يحدث لهم أي تأثير سيىء، وكان في مقدور أي منهم الوصول إلى الطبق دون أن تراه الخادمة.

وقبل أن أحسم إجابة هذا السؤال كنت قد أدركت أهمية صمت

الكلب، حيث إن استدلالاً واحداً حقيقياً يوحي بغيره، فحادثة سمبسون أظهرت لي أن في الحظائر كلباً، وبالرغم من ذلك فقد دخل شخص ما وأخذ الحصان دون أن ينبح الكلب ليوقظ الصبيان في الليل؛ لقد كان شخصاً يعرفه الكلب جيداً.

كنت قد اقتنعت فعلاً (أو على وشك الاقتناع) بأن جون ستراكر قد ذهب إلى الحظيرة في جوف الليل وأخرج سلفر بليز لسبب ما، بالطبع لسبب غير شريف وإلا فلماذا خدر صبي الحظيرة؟ ورغم ذلك كنت في حيرة لأعرف السبب، وقد عرفت بعض حالات قبل الآن حصل السائس فيها على مبالغ كبيرة عن طريق وضع رهانات ضد حصانه من خلال الوكلاء، وبعد ذلك يحتال لمنع حصانه من الفوز، وذلك بسحب الفارس في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى بوسائل أكثر غموضاً. فماذا كان الأمر هنا؟

أتمنى أن تساعدني محتويات جيبه في تكوين نتيجة نهائية، وهذا ما حدث، فلا يمكن أن تنسوا السكين الرائع الذي وجدناه في يد القتيل، وهو سكين لن يختاره رجل عاقل كسلاح، بل هو- كما أخبرنا الدكتور واطسون- نوع من السكاكين التي تستخدم في العمليات الدقيقة في

الجراحة، وكان سيستخدمه في عملية دقيقة تلك الليلة.

لا بد أنك تعرف- لخبرتك في أمور السباق يا كولونيل روس- أن جرحاً بسيطاً يمكن إحداثه فوق أوتار العضل في باطن ركبة الحصان، ويتم ذلك تحت الجلد حتى لا يترك أي أثر، والحصان المعالج بهذه الطريقة سوف يظهر عنده عرج خفيف قد يعتبرونه بسبب إجهاد في التمرين أو قليل من الروماتزم، ولكن أحداً لن يعتبره مكيدة مدبرة.

صاح الكولنيل: وغد... خبيث!

قال هولمز: لدينا أيضاً تفسير لسبب رغبة ستراكر في أخذ الحصان إلى الخارج في المستنقع، فمخلوق نشيط بهذه الدرجة سوف يوقظ بالتأكيد النائمين مهما كان نومهم عميقاً عندما يحس بطرق السكين، ولذلك كان من الضروري إجراء العملية في الهواء الطلق.

صاح الكولونيل: لقد كنت أعمى! وبالطبع كان هذا هو سبب حاجته إلى الشمع وعيدان الثقاب.

- بلا شك، وقد حالفني الحظ حين فحصت أغراضه، فلم أكتشف فقط طريقة الجريمة بل ودوافعها أيضاً؛ فرجل بخبرتك- يا كولونيل- يعرف أن أياً من الناس لا يحمل فواتير غيره في جيبه، فأغلبنا عنده ما

يكفيه من فواتيره الخاصة، ولذلك فقد استنتجت على الفور أن ستراكر يعيش حياة مزدوجة وأن له علاقة أخرى، فطبيعة الفاتورة أظهرت وجود سيدة في القضية، سيدة ذات ذوق مكلف، ومهما كنت كريماً مع موظفيك فلا يمكن أن نتوقع أن يشتري أحدهم ثوباً عادياً لزوجته بعشرين جنيها!

وقد سألت السيدة ستراكر عن الثوب فلم تعرفه، وبعد أن تأكدت من أنه لم يصل إليها أرسلت مذكرة إلى محل الملابس، وعرفت أن ذهابي إلى المحل مع صورة ستراكر سيمكنني من التخلص بسهولة من شخصية ديربشاير الخيالية.

ومنذ ذلك الوقت صار كل شيء بسيطاً؛ لقد قاد ستراكر الحصان إلى الحفرة حيث لن يرى أحد الضوء، وكان سمبسون قد أوقع رباط عنقه في أثناء هربه فالتقطه ستراكر، ربما لأنه أراد استخدامه في ربط ساق الحصان، وحين وصل إلى المنحدر ذهب خلف الحصان وأشعل ضوءاً، ولكن الحصان فزع من الوهج المفاجئ، ولعله استشعر بغريزة الحيوان الغريبة أن الرجل ينوي إيذاءه فهاجمه، وقد ضربت حدوة الحصان الحديدية جبهته بكل قوة، وكان قد خلع معطفه رغم المطر

حتى يستطيع تأدية مهمته الدقيقة فجرح فخذه في أثناء سقوطه.

صاح الكولونيل: رائع، رائع! كأنك كنت هناك!

– وكان تخميني الأخير (وأنا أعترف أنه كان بعيداً جداً) حين خطر ببالي أن شخصاً ذكياً كستراكر لن ينفذ عملية دقيقة كشق الأوتار دون تدريب مسبق، فما الذي يمكن أن يتدرب به؟

عندها رأيت الخراف وسألت سؤالاً أثبت– لدهشتي– أن تخميني كان صحيحاً!

وحين عدت إلى لندن اتصلت بمحل ملابس السيدات الذي تعرف على ستراكر كعميل ممتاز باسم ديربشاير وذي زوجة جميلة جداً تميل إلى الأثواب الغالية، ولا شك عنده أنها قد أغرقته حتى أذنيه في الديون وقادته إلى هذه المكيدة البائسة.

صاح الكولونيل: لقد وضحت كل شيء ماعدا شيئاً واحداً؛ أين كان الحصان؟

– لقد جفل وتم الاعتناء به من قبل أحد جيرانك، ويجب أن نتحلى بالرحمة في هذا الموضوع.

ثم أشار إلى الطريق وقال: لقد وصلت إلى تقاطع كلافام إذا لم أكن مخطئاً، وسوف نصل إلى محطة فكتوريا خلال أقل من عشر دقائق، فإذا أردت أن تشاركنا شرب كوب من الشاي في مسكننا فسأكون سعيداً بإعطائك أية تفصيلات أخرى تهمك.

ملتّتْ